نيراني اشعلت قلبك

رواية

مروة الجوهري



مقدمة الرواية

***

رسائـل البحر ..
و هـل للبحر رسائل ؟! ، كلمات تستحق التأمل..
كانت هي رسالتـه التـي أرسلها اليـه البحر كـ هدية لتغير حياته بالكامل و إزالـة الأتربة عن قلبه و إعادة خفقاته السريعه..
وبالمثل كان لها قدراَ محتوماَ عاشت تفاصيله و دلف هو من اوسع ابواب قلبها بسهولة ويسـر..
ولكن التمـرد ، العنـاد ، التـردد و الخـوف من العواقب ، كل هذه العقبات أثرت في كليهما تأثيراَ عميقاَ ليستيقظ كل منهما من واقعهما الخيـالي إلي حيـاة أكثـر واقعية و مريره..
فما العمـل عندما تنقلب الأوضاع ويصبح الوصال بينـهما أمراَ أكثر من أن يكون مستحيلاَ..

ضربت الامواج الغاضبة الصخور الساكنة على الشاطيء لتتناثر قطرات الماء بشكل عشوائى على الرمال ، الرياح شديدة فى الليل..
نظر من نافذة غرفته الزجاجية إلى البحر امامه ثم نظر الى المسدس فى يده و وضعه فى جرابه الانيق ثم خرج ، هبط السلالم الطويلة بخفة وخرج من المنزل مغلقاَ الباب خلفه ليتجه إلى سيارته الفاخرة وينطلق إلى وجهته! ..
****
ضربت بقدميها الارض بطفولة لتقول والدتها بنبرة حادة:
-سلمى بلاش لعب عيال واتظبطى.
جلست سلمي بضجر على حافه السرير و وضعت يدها على وجنتها قائلة:
-يعنى عايزين ترمونى كدا واسكت يا ماما.
-نرميكى ايه يا هبله؟؟ ، دا واحد ومتقدملك واحنا موافقين عليه.
-بس انا لسه صغيرة.
-نعم؟! .. انتى عندك كام سنة يا سلمى؟
-لسه فى العشرين..
-وصغيرة؟ .. بصى يا بنتى قابليه ومش هتخسرى حاجه ، باباكى سأل عنه وسيرته حلوة بين الناس ..وانتهى الكلام فى الموضوع دا.
نهضت والدتها وخرجت من الغرفة صافعة الباب خلفها فنظرت سلمى امامها وزفرت بضيق ثم القت بجسدها فوق فراشها لتذهب فى سبات عميق علها تتناسى امر ذلك الشاب الثرى الذى تقدم للزواج منها. ..
****
سحب الليل ظلماته بإصرار ليترك مكاناَ لقرص الشمس الملتهب ليصعد وتنتشر أشعته فتنير السماء ليعن مجيئ يوم جديد..
استيقظت سلمى على صوت رنين هاتفها فمدت يدها بكسل وأمسكت به لتجيب على المتصل بنعاس:
-الو .. مين معايا ؟
-اه طبعا لازم تكونى نايمة .. ما انا الهبله اللى بتجبلك المحاضرات كل يوم.
تثائبت سلمى بضجر وإحتضنت الوسادة وهي تقول:
-ايه الداخله دى يا مياده براحه يا بنتي.
فصاحت بها مياده بضيق:
-قومى يا حبيبتى يلا ، علينا امتحان كمان ساعة.
-ممم .. طب ابقى اكتبيه وهاتيه بكره.
-بكره ايه يا بنتى بقولك امتحان فوقى يا سلمى امتحااان.
إستمعت لكلماتها جيدا تلك المره لتتسع حدقة عينيها وتنتفض جالسة على السرير:
-ميادة بتهزرى ؟؟
-لا طبعا وتعالى بسرعة.
أغلقت معها ونهضت بسرعة ترتدى ملابسها ثم خرجت لتقابل والدتها وهى تعد الفطور:
-بسم الله ما شاء الله ، قومتى لوحدك هتتحسدى.
-بقولك ايه يا سناء انا ماشيه .. عليا امتحان وهسقط .. دعواتك بقى.
-طيب ابقى عدى على باباكى وانتى مروحه عشان عايزك.
-اوك سلام.
****
ضغطت على جهاز التحكم لتفتح السيارة وتصعد ثم تنطلق بأقصى سرعتها ، كادت أن تتعرض لأكثر من حادث جراء سرعتها المفرطة..
نظرت إلى المرآة الاماميه لتلتقي بأعينها الخضراء وشعرها الكستنائي المنسدل على ظهرها وخصلاته التى تغطى معظم جبينها مع لون بشرتها الابيض، نظرت مجدداَ امامها لتزيد من سرعتها الجنونية..
صفت سيارتها امام الجامعة ثم إرتجلت منها لتتجه بسرعة إلى الداخل..
بحثت بعينيها عن صديقتها فلم تجدها لتزفر بضيق وقلق ثم تخرج هاتفها وتتصل بها لتجيب بعد لحظات:
-الو..
لتجيب سلمي وهي تبحث عنها بعينيها:
-ايوه يا ميادة انتى فين؟؟
-انا فى المدرج بتاعنا.
توقفت سلمى فجأة ثم قالت بقلق:
-اوعى تقولى ان الامتحان بدأ.
-تعالى يا سلمى يلا.
-طب الدكتور دخلكوا ولا ايه؟؟

-اخلصى يا بت.
-حاضر خلاص.. سلام.
ابتلعت لعابها بقلق ثم اتجهت إلى المدرج الخاص بهم لتجد الباب مغلقاً..
أرادت الالتفات والهروب ولكن فات الأوان ، تابعت السير إلى ان وصلت الى الباب لتمسك بقبضته وتدفعه فتنفجر الرقاقات اللامعة فى وجهها لتصرخ بذعر و تنظر الي الحاضرين بصدمة..
ضحك جميع الموجودين بشدة لتنظر لهم سلمى بتوعد قائلة:
-فين ميادة جيبوها.
تقدمت نحوها بإبتسامه تلك الفتاة ذات العيون البنية الواسعه والشعر الاسود الحريرى لتقوم سلمى بضربها ممازحة وهي تقول:
-ماشى يا ميادة ، كدا تصحينى من احلى نومه.
ضحكت ميادة ثم أشارت الى الباب:
-اتفضلى ارجعى نامى تانى.
-اوك سلام.
قالتها سلمى ثم التفتت وكادت ان تخرج فجذبتها ميادة ضاحكة:
-تعالى يا هبله ، كل سنة وانتى طيبه يا سلمونتى.
نظرت اليها سلمى ثم ضمت حاجبيها ورفعتهما بدهشة فأومأت ميادة برأسها ليصفق باقى زملائها ويتعالى صوت صفيرهم القوى ، نظرت سلمى الى ميادة ثم إحتضنتها بقوة:
-حبيبتى يا ميدو والله كنت ناسية.
-إنتى تنسى انا لأ.
نظر اليهما شهاب –أحد الطلبة المميزين و اكثرهم طولاً– ايضا ثم ضحك قائلا:
-انا عايز دموع .. لازم عياط انهارده.
نظرت اليه سلمى ثم رفعت احد حاجبيها وقالت:
-اللى متعاظ منى يقلدنى يا مستر شهاب..
ابتسم شهاب بخفة ثم نظر الى ميادة التى توردت وجنتيها خجلاً فضربت سلمى بقدمها لتصرخ سلمى بألم:
-آآه ايه ؟؟ ، الحق عليا .. انتو مش مخطوبين يا بنتى.
إقترب منهما عماد مبتسماً :
-خلاص اهدوا يا جماعه.. كل سنة وانتى طيبة يا سوسو.
-وانت طيب يا عمده .. بجد يا جماعة احرجتونى.
نظر اليها عمرو بإبتسامه ثم إقترب منهما وقال بنبرة ذات مغزي:
-كله يهون عشان برنسيسة الجامعة كلها واحلى بنت فيها.
نظرت اليه سلمى ثم إبتسمت مجاملة و نظرت إلى ميادة لتنقذها قائلة:
-يلا يا جماعه وقت الهدايا.
إقترب منها الجميع يهنئها ويقدم لها الهدايا ، منها ما هو كبير ومنها ما هو صغير ، ولكن قيم وثمين ..
نظرت اليها ميادة بإبتسامة:
-كله خلص .. لسه بقى هدية الشله كلها..ودى الكبيرة.
نظرت اليها سلمى بعدم فهم ثم قالت:
-هدية ايه دى؟؟
نظروا اليها جميعا ثم هتفوا بحماس:
-رحلة بحرية يا سوسو.
نظرت اليهم بصدمة فإحتضنتها ميادة:
-حبيبتى يا سمسم.
لتقول سلمى بعدم تصديق:
-لا بتهزوا .. بجد.
-ايوه والله.
ليقول شهاب بإستمتاع وتكاسل:
-كلها ساعات ونبقى فى عرض البحر كدا ..وبعدين هوبا ، نغرق كلنا .. نياهاهاها.
إرتعدت سلمى من كلماته لتقول معترضة:
-لا شكرا ، مش عايزة.
نظرت ميادة الى شهاب بعتاب ثم قالت:
-متقلقيش يا سلمون .. دا هيبقى يخت حلو وأمان خالص .. بس للأسف مش هاجى معاكى.
ضمت سلمى حاجبيها بإنزعاج ثم قالت:
-طب ليه طيب ؟؟

-بابا يا ستى ، مش موافق .. يلا استمتعوا انتو بقى.
نظرت اليها بحزن وكادت ان تنطق لولا ان دلف دكتور المحاضرة ليعلن بدأها..
****
إنتهي اليوم الجامعي وخرجت سلمى برفقة ميادة لتقف كل واحدة امام سيارتهـا لتقول سلمى:
-ميادة حاولى تقنعى باباكى وتيجى.. هتسبينى لوحدى ، وبالاخص ان الاستاذ عمرو جاى.
ضحكت ميادة بخفة ثم قالت:
-والله يا بنتى شكله بيحبك .. بصى بس بيبصلك ازاى ، استغلى الرحلة دى وحاولى تفهميه وتقربيله.
زفرت سلمى بضيق ثم نظرت حولها لتجد عمرو ينظر اليها فنظرت مجددا امامها وقالت:
-مش عارفه الناس دى عايزة منى إيه والله.. دا حتى اهلى هيجوزونى غصب.
شهقت ميادة بصدمة ثم قالت:
-بتهزرى يا سلمى .. ازاى؟؟
تابعت بتهكم وكأنها لم تسمعها:
-وادينى راحه لبابا فى الشركة.. اما نسمع محاضرات تانية.
-ربنا معاكى .. بس حاولى تتكلمى معاه ، او عيطى يمكن قلبه يرق .. يعنى بلاش كبريائك دا اللى هيضيعك ونزلى دمعتين قدامه..خلى العزة النفساوية دى بعدين.
لتقول سلمى بتهكم:
-اه النفساوية صح .. طب سلام يا ميمو يلا.
-طيب ابقى طمنينى عليكى.
-اوك.
صعدت كل منهما الى سيارتها وانطلقت ميادة بسرعة ، كادت سلمى ان تتحرك الا انها سمعت صوت طرقات اصابع على زجاج نافذة السياره فإلتفتت لتجد وجه عمر المبتسم امامها! ..

سمعت طرقات على نافذة السيارة لتلتفت فتجد وجه عمرو المبتسم أمامها:
-إزيك يا سوسو.
رسمت سلمى إبتسامة صغيره ثم قالت بلطف مزيف:
-اهلا يا عمرو ..خير؟!
-لا كنت عايز اقولك يعنى .. احم اني هاجى معاكى قصدى معاكوا فى الرحله.
لتقول سلمي وهي تبتسم علي مضض:
-آه ، منا عارفه .. كويس.
-طب إنتى فاضيه اعزمك على الغدا انهارده؟؟
نظرت اليه بأسف لتخلص نفسها بلباقه قائلة:
-آسفه يا عمرو .. انا راحه لبابا فى الشركة وهتغدى معاه .. معلش بقى.
حاول إخفاء حرجه خلف تلك الابتسامه المتوترة ثم قال:
-آه .. لا عادى خلاص .. اتفضلى روحى انتى.
ابتسمت ثم نظرت امامها وأدارت المحرك ثم عادت بأنظارها اليه ليبتسم لها ، رفعت أحد حاجبيها ليقول هو:
-فى ايه يا سمسم؟!
قالت بضيق تحاول إخفائه:
-العربية يا عمرو.
ليضم حاجبيه بتعجب ثم يقول:
-مالها ما هى كويسه اهو.
نظرت الى ذراعه المستند بها علي سيارتها ثم قالت بإنزعاج:
-ابعد ايدك عشان اتحرك.
نظر الي ذراعه ثم اعتدل سريعاً وهو يقول:
-آه آسف .. اتفضلى.
ثم ابتعد عن طريقها لتنطلق هي بأقصى سرعة تاركة سحابة غبار خلفها ليسعل عمرو بشدة! ..
****
صفت سيارتها أمام الشركة ثم إرتجلت منها لتعبر من تلك البوابة المزخرفة برقه وتصعد الدرج بخفة لتدلف من باب الشركة..
سارت فى ذلك الممر الرخامى الطويل لينتبه الجميع إلى ذلك الجمال الصارخ وتذوب انظارهم مع كل خطوة تخطوها اقدامها المتناسقه ، بادلت سلمى نظراتهم بنظرات باردة جامده ، حتي وصلت إلى باب جانبى لتدلف منه فتقف موظفه الاستقبال بإحترام وترسم ابتسامة خفيفة وهي تقول:
-اهلا انسه سلمى .. والد حضرتك فى إنتظارك.

لتجيب سلمى دون ان تتوقف:
-اوك انا هدخله..
طرقت الباب ثم دلفت لتجد والدها يجلس مع ذلك الشاب ذو الثراء الفاحش ، نظر اليها والدها بإبتسامة ثم قال:
-اهلا يا حبيبتى ، تعالى .. دا خالد ، طبعا تعرفوا بعض.
نظر اليها خالد ثم نظر إلى والدها بإبتسامه وقال:
-الحقيقه يا شوقي بيه انا اللى اعرفها ، انما هى اظن اول مرة تشوفنى.
قال كلماته الاخيرة وهو ينظر اليها ثم عاد لينظر امامه مجدداَ ، نظر شوقى إلى سلمى بتعجب:
-ايه يا حبيبتى تعالى!
نظرت اليه سلمى ثم قالت بإنزعاج:
-حاضر.
جلست سلمى على مضض فى المقعد المقابل لمقعد خالد امام مكتب والدها ، نظر اليها خالد بينما انشغل والدها بمكالمة هاتفية، لاحظت سلمى نظراته لتنظر اليه بحدة ولكن لم يخجل او يتراجع عن نظراته الوقحة الجريئه .. يال وقاحته ، زفرت بضيق ونظرت بالاتجاه الاخر وعقدت ذراعيها امام صدرها وهي تتأفأف بضيق شديد.. وجدت والدها ينهض من مكانه ويبعد الهاتف عن أذنه قائلا:
-معلش يا ولاد هروح اخلص ورق للشغل واجى.
نظرت اليه سلمى ثم قالت بتوتر:
-طب اجى معاك ؟
-لالا مش مستاهله دا المكتب اللى جنبكوا ، خليكى مع خالد.
تحرك من خلف المكتب واقترب من خالد ثم ربت على كتفه وخرج..
عاد خالد بنظراته اليها ثم اعتدل فى جلسته وقال:
-ها .. ازيك يا سلمى؟
نظرت اليه بضيق ثم تمتمت:
-اهلا..
-سمعت انك مترددة تقبلينى.
نظرت اليه بثبات لتقول بجدية:
-لو سمحت يا استاذ خالد ، لو حبيت تتكلم يبقى قدام بابا .. غير كدا انا مسمحش.
رفع أحد حاجبيه ومال بجسده ليستند بمرفقيه على أرجله:
-بس أظن إن احنا قريب هنتجوز .. ولا انتى شايفه ايه؟
عادت بظهرها إلى الخلف بكبرياء واضعة قدم فوق الاخرى ثم قالت بتعالي:
-مظنش.. انا إلى الان مش موافقة.
-ليه .. مين اللى فى قلبك؟؟
نظرت اليه بسخرية شديده ، ثم نهضت من مكانها ليقف هو الاخر فتقول بحدة:
-اظن حضرتك تخطيت حدودك .. واظن كمان مش من الرجولة انك تستغل غياب والدى.
أومأ برأسه بسذاجه ثم نظر إلى أعينها مباشرة:
-هيجيلك يوم وتلينى.
-إنسى يا استاذ .. وإن كان بابا وماما شايفينك ملاك .. فمتقلقش ، انا عارفه انك شيطان.. وبقرون كمان.
-هتندمى .. وإن مكنش انهارده يبقى بكره.
ابتسمت بسخرية قائلة:
-طب معلش بكره الساعة كام عشان ببقى مشغولة.
تحولت نظراته الى نظرات باردة لتلقى عليه نظرة اخيرة ثم تلتفت وتخرج من الغرفة..
تابعها اثناء خروجها وصفعها الباب خلفها ليقول وهو يفرك ذقنه بأصابعه:
-لمضه وهطلع عينى .. بس تستاهل بنت الايه..
****
إتجهت الى حيث والدها لتجده منهمكاَ بالعمل فى بعض الملفات فتضع يدها على كتفه:
-بابا .. طب مجبتش الورق هناك ليه؟!
نظر اليها شوقى بإبتسامه ثم قال:
-حبيت اسيبكوا مع بعض تتعرفي عليه .. ها عجبك ؟
جلست على المكتب امامه وهي تقول بسخرية:
-اها اووي .. لا ومحترم كمان.
تبدلت ملامحه للحزن وهو يقول:
-مالك بس يا سلمى؟
نظرت اليه برجاء ثم قالت:

-يا بابا انا لسه صغيره ومش بفكر فى الحاجات دى دلوقتى.
أومأ شوقى برأسه بأسى ونظر امامه ثم قال بعد لحظات:
-طيب يا بنتى .. صحيح كل سنة وانتى طيبة.
مدت شفتها السفلي بطفولة وامسكت بربطة عنقه وهي تقول:
-شوشو انت زعلت.
-انا بس نفسى افرح بيكى .. وخالد لو كان وحش مكنتش هقبله.
نظرت الى أعين والدها فرأت فيهما خيبة الامل والحزن لتترك ربطة عنقه وتطلق تنهيده طويلة ثم تقول بعدم اقتناع:
-خلاص .. طيب موافقة.
نظر اليها وقد عادت الحياة إلى ملامحه ثم قال:
-بجد يا سلمى موافقه؟
صمتت قليلا ثم نظرت أرضاً تفكر لترفع رأسها وتنظر اليه :
-آه بجد يا بابتي .. بس يبقى فيه فترة خطوبة مش فرح على طول كدا.
تهللت أسارير الفرحة في وجهه وهو يقول:
-تمام .. خلاص تمام يا حبيبتى.
رفعت سبابتها لتلامس انفه ثم قالت:
-بس استنى عندك ، فى شرط صغنن.
ضم شوقي حاجبيه بتعجب ثم قال:
-ايه هو؟؟
-الخطوبة تبقى بعد الرحلة البحرية.
-رحلة ايه دى؟!
-زمايلى فى الجامعة عملوها بمناسبة عيد ميلادى.
-امتى دى ان شاء الله؟!
-ممم .. ممكن خلال يوم او يومين بالكتير.
-مش عارف يا سلمى .. مش هتبقى امان دى..
مطت شفتيها وهي تقول برجاء طفولي :
-عشان خاطر سلمونتك .. هبقى مع صحابى.
صمت شوقي يفكر مليا قليلا ثم قال:
-موافق .. بس خالد يجى معاكى.
انتفضت من مكانها معترضة وهي تقول:
-لا مش هو..
-ليه بس يا بنتى؟؟
-انا عايزة الفترة دى تبقى راحه ليا .. وبعدين انا مش عايزاه يعرف إنى موافقة.
رفع حاجبيه بدهشة ثم قال:
-امال هتتخطبوا من وراه يا سلمى ؟؟
-لا طبعا ، بس بعد الرحله .. ممكن ؟
نظر أرضا يفكر ثم نظر اليها وقال:
-طيب .. خلاص موافق.
قبلت خده بسعادة فإحتضنها قائلا:
-ربنا يخليكى ليا يا بنتى.
-ويخليك ليا يا بابتى.
****
عادت إلى المنزل برفقة والدها وصعدت إلى غرفتها فدلفت خلفها والدتها سناء:
-ها يا سلمى .. شوفتى خالد.
نظرت اليها سلمى بتعجب ثم قالت بتهكم:
-دا انتوا طبخينها سوا بقى..
لتقول سناء بشغف متجاهلة حديثها:
-باباكى قالي انك موافقة.
لتجيب سلمي وهي تجلس علي حافة السرير:
-بعد اما ارجع بقى يا ماما .. ربنا يستر.
ذمت سناء شفتيها ثم قالت:
-مش انتى بتخافى من البحر .. هتروحى ليه؟!
-انا اخاف لو كنت فيه هو .. دا هيبقى يخت .. وهبقى مع صحابى.

-طيب هتروحى امتى؟
-يوم او اتنين وهمشى..
-طيب.. تروحى وترجعى بالسلامة.
-ميرسى يا سوسو.
****
فى اليوم التالى استيقظت سلمي باكراً و ذهبت الى الجامعة وبعد ان انهت محاضراتها خرجت لتعود الي بيتها.. سارت برفقة مياده وكادا ان يخرجا الا انها رأت خالد يقف مستنداً على سيارته الانيقه وينظر اليها و الي رفيقتها نظراته المعروفة ، زفرت سلمى بضيق فنظرت اليها ميادة بتعجب:
-فى ايه يا بنتى مالك؟!
لتجيب سلمي بعد لحظات بضيق:
-بصى قدامك وانتى تعرفى.
نظرت امامها فرأته ينظر اليها فأخفضت بصرها سريعا قائلة :
-مين دا يا بت ؟
-الاستاذ اللى متقدملى.
-وهنعمل ايه؟؟
-بصى كملى مشى وكل واحدة تروح على عربيتها.
-طيب ماشى.
اكملا السير ومرا من أمامه وهو يتابعهما بنظراته ، كادت سلمى ان تفتح باب السيارة ولكن اوقفتها يد تمسك بذراعها لتنتفض وتلتفت فتجده امامها:
-هو انت .. نعم عايز ايه؟!
ابتسم خالد ثم قال بنبرة مستفزه:
-عادى يا حبيبتى .. جيت اوصلك انا..
إبتسمت ابتسامه صغيرة باردة و هي تقولا:
-لا شكراَ .. معايا عربيتى والله.
-وفيها ايه سيبيها وتعالى .. حتى نتكلم شوية.
انتبهت ميادة اليهما عندما قالت سلمى بغضب:
-والله حضرتك مش قريبى عشان تقف معايا اصلا..
ابتسم خالد رافعاَ حاجبيه و هو يقول:
-بس اظن انك وافقتى على خطوبتنا .. ولا والدك كان بيكذب.. ؟!

- بس أظن انك وافقتى على خطوبتنا .. ولا والدك كان بيكذب.
نظرت اليه بدهشة وصدمة وما لبثت الا ان تحولت ملامحها الى غضب جامح:
-طب اسمع بقى .. انا لا اعرفك ولا شوفتك قبل كدا .. ومش هوافق بيك ، لا قبل الرحلة ولا بعدها.. و واضح ان كرامة حضرتك بقت خلاص فى الارض .. دا ان كانت عندك اصلا.
صدم من ردها فألقت عليه نظرة إشمئزاز قبل ان تصعد الى سيارتها متمتمة بضيق:
-عالم مقرفة.
انطلقت بسيارتها بينما ظل خالد واقفا ينظر الى سيارتها وهى تختفى من امامه! ..
****
عادت سلمى الى البيت وصعدت الدرج إلى غرفتها صافعة الباب خلفها فدلفت اليها سناء قائلة في عجب:
-فى ايه يا بنتى مالك؟
سارت ذهاباَ و إياباَ وهي تقول بعصبيه:
-مالى ! .. الاستاذ اللى اسمه خالد.
-ماله؟؟
سألتها سناء بتعجب اكبر فتوقفت سلمى ثم نظرت الى والدتها وقالت:
-انا من الاول قلت إنى رافضة الجواز دا ، اهو جالى انهارده الجامعة وحرجنى قدام الطلبة.
-ليه .. عمل ايه ؟؟
تابعت سلمى وكأنها لم تسمعها:
-بس أدينى مسخرت بكرامة اهله الارض.
هبت والدتها بإنفعال قائلة:
-سلمى ! .. عيب إيه اللى بتقوليه دا..
لتقول سلمي بضيق و إنفعال:
-انا عايزة اعرف بابا قاله ليه إنى وافقت؟؟

-عشان كان لازم يعرف يا سلمى.
كان هذا صوت والدها الذى دلف لتوه ثم اضاف بتعجب:
-مش انتى وافقتى؟
نظرت اليه بصمت للحظات ثم قالت بهدوء:
-ايوه..
-امال .. ايه اللى حصل؟!
اطلقت تنهيدة طويلة ثم رفعت حاجبيها وقالت:
-مفيش يا بابا .. كل الحكاية إنى مش مستريحة..مش عارفه.
ذم شوقى شفتيه بتعجب ثم قال:
-انا شايفه كويس .. على العموم هتعرفيه اكتر فى فترة الخطوبة .. مين عالم ممكن تحبيه.
-لا يا بابا ، انا مش موافقة.
بدأت نبرة صوته تزداد حدة عندما قال:
-سلمى! .. احنا خلاص اتكلمنا مع الراجل وحددنا معاد .. هو لعب عيال ولا ايه؟؟
انهى كلماته ثم خرج من الغرفة صافعاً الباب خلفه بشدة..
نظرت إليها سناء ثم تنهدت وخرجت هى الاخرى..
تابعتهما سلمى إلى أن خرجا ثم زفرت بضيق وإستلقت على السرير بالكامل ثم أغمضت عينيها بتعب..
لم تخرج من غرفتها فى ذلك اليوم إلا لصنع القهوة ثم الرجوع مجدداً و إغلاق الباب عليها..
****
حل المساء وهى تجلس فوق فراشها وحولها هدايا عيد ميلادها تتفقدها إلى أن قاطعها اتصال صديقتها ميادة فأجابت:
-الو..
-ايوه يا سلمى طمنينى عليكى.
-انا تمام ، بتسألى ليه ؟
-بسأل ليه ؟ .. من اللى شوفته الصبح يا حبيبتى .. إنتى اتعصبتى كدا ليه هو قالك ايه؟
زفرت سلمى بضيق مطولاً ثم قالت:
-زهقت والله يا ميادة .. وبابا مش مقتنع بوجهة نظرى خالص.
-واللى هى ايه؟
فإعتدلت سلمي في جلستها وهي تقول:
-انى رافضة فكرة الجواز والارتباط اصلا.. لا خالد ولا غيره.
-بس باباكى نفسه يفرح بيكى يا سلمى حرام عليكى.. ما انتى اللى بترفضى اى حد يتقدملك.
-برده ، انا عندى مبدأ.
-انك تكرهى كل الرجالة !.. مش كدا؟
صمتت سلمى قليلا ثم تنهدت وقالت:
-ميادة ، اقولك انا عايزة ايه ؟؟
-يا ريت اكون حتى إرتحت.
صمتت سلمى قليلا ثم أمسكت بكتاب من بين علب الهدايا وقرأت عنوانه مراراً بهمس:
-ضياع .. ضياع .. ضياع.
ليأتيها صوت مياده الضاحك:
-هو ايه اللى ضاع؟!
-تؤ يا بت ضياع ، إسم كتاب جالى في الهدايا.
-ممم .. ودا داخله ايه باللى بنقوله؟
-ميادة الكتاب بيحكى عن حياة بنت تاهت من اهلها وهى صغيرة ، حايتها لحد ما كبرت كانت عبارة عن مغامرة خيالية جدا وشيقه جدا، مرت السنين وقابلت الفارس المغوار.
-ممم وبعدين يا اخرة صبرى.
-مكنتش تتخيل انه يكون من نصبها لحد ما حصلت مواقف كتيـره أثبتتلها انه قدرها..
ثم تنهدت وقالت:
-حياتها حلوة وعجبانى.
-طيب يعنى عايزة منها ايه؟
-ميادة انا عايزة من دا .. عايزة ضياع.
-اهدى يا حبيبتى انتى راحه اليخت بكره.
أغمضت سلمى عينيها وإستندت بظهرها إلى الحائط ثم قالت:
-عارفه .. ادعيلى فوبيا البحر متجيليش هناك.

-نفسى اعرف بتخافى من المايه ليه.. صحيح عمرو جابلك ايه؟
نظرت سلمى إلى العلبة المغلفه بإشمئزاز ثم قالت:
-بفكر مفتحهاش.
-لالا انا عايزة اعرف افتحيها يلا.
وضعتها سلمى امامها ثم فتحتها بإهمال لتجد صندوقاً لامعاً به صورتها مقصوصة على شكل قلب لتبتسم بسخرية و تهكم ، وجدت زراً احمر صغيراً فضغطت عليه ليعلو صوت عمرو قائلا:
- I Love You Salma..
سمعت ميادة الصوت لتضحك بشدة ثم تقول:
-هو عندك ولا ايه؟؟
-لا يا روحى دا جابلى صوته هديه.. مش عارفه انا الناس دي معلقه معايا ليه ، ما العوانس كتير وعلي قفا من يشيل ! ومستنين ولو شراب عريس بس .. جت عليا انا ولازم مفيش مفر..
ضحكت مياده بقوة ثم قالت:
-حرام عليكى يا سلمى والله فى ناس كتير حلوة.
-انا قلتلك ، انا عايزة مغامرة .. نفسى فى ضيااااع.
تمنت الفتاة أمنيتها ولم تعبأ بالنتائج ، فكما قال المثل الشهير:
"أحذروا من أمنياتكم"
****
إستيقظت سلمى في الصباح ودلفت إلى المرحاض لتأخذ حماماً ساخناً يريح اعصابها ويخفف من توترها ؛ فما زالت قلقة من ان تكون فى مكان يحيطه البحر من جميع النواحى..
خرجت من المرحاض بعد أن إرتدت ملابسها لتقوم بإخراج حقيبة ظهرها من خزانة ملابسها ، وضعت بعض ملابسها وفساتينها ثم أغلقتها وحملتها فوق ظهرها ثم خرجت من الغرفة لتقابل والدتها التي قالت:
-صباح الخير .. راحه فين كدا؟؟
-هنروح اليخت انهارده..
-طيب روحى سلمي على باباكى يا بنتى .. هو فى اوضه المكتب .
صمتت سلمى قليلا بتردد فنظرت اليها والدتها بجدية وقالت:
-سلمى..
-حاضر حاضر .. انا هسلم وهمشى على طول ها.
-طيب وخلى بالك من نفسك.
-حاضر.
إتجهت إلى حجرة المكتب و وقفت امام الباب ثم أخذت نفساً عميقاً و أخرجته ثم طرقت الباب و وقفت تنتظر إذنه الى ان سمعت صوته يقول:
-ادخل..
فتحت الباب ببطء ثم دلفت ، رفع شوقى رأسه لينظر الى ابنته الواقفة امامه بإحترام ليقول بتعجب:
-راحه فين؟
تنحنحت سلمي ثم قالت:
-اليخت .. جيت اسلم عليك.
نظر اليها قليلا ثم وقف وابتعد عن مكتبه ليقف امامها ويتمتم:
-ممم..
صمتت قليلا ثم نظرت اليه لتقول بنبرة سريعه:
-احم بص يا شوقى من الاخر انا آسفه لو كنت ضايقتك ونصالح بقى بلاش زعل وانا راحه اليخت وكدا.
اجبرته لهجتها على الضحك بعلو صوته لتبتسم بشدة وترتمى فى احضانه الدافئة ثم تقول:
-بحبك يا بابا.
أحاطها بذراعيه ثم قال:
-خلى بالك من نفسك ومتقلقيش من البحر..
ثم تابع بلهجة ضاحكه:
-دا طيب خالص.
-ماشى .. دعواتك بقى.
-ربنا يحفظك يا بنتى.
ابتعدت عنه ونظرت الى وجهه ثم قالت:
-طيب همشى انا بقى عشان متأخرش.
-فى رعاية الله .. مع السلامة.
-سلام.

****
وقف الجميع على هيئة صف واحد ليصعد كل منهم إلى اليخت دون أضرار ، كانت سلمى تنظر حولها بقلق وخوف..
حان دور صعودها فصعد شهاب اولاً و وقف عماد خلفها ، مد شهاب يده اليها ثم قال:
-يلا يا سمسم بسم الله وتعالى.
نظرت الى الاسفل لتنظر الى المياه بينها وبين اليخت لتتراجع بخوف وتقول:
-ممكن اقع ؟
نظر اليها شهاب ثم قال ليطمئنها:
-يلا يا سلمى وعماد وراكى اهو.
ابتلعت لعابها ثم تنهدت و صعدت ممسكتاً بيده لتصبح فوق سطح اليخت ، نظر اليها شهاب بإبتسامه قائلا:
-اهو شوفتى الموضوع بسيط.
صعد الجميع ليتحرك اليخت ويبتعد عن اليابس تدريجياً ، شعرت بتوتر فدلفت الى غرفة خشبية صغيرة وجلست واضعة سماعات الاذن لتتجاهل صوت الامواج الهائجة بإستماعها للموسيقي..
****
كان جالساً خلف مكتبه الفخم ويمسك ببعض الاوراق وبجانبه على المكتب مسدسه الانيق ، سمع طرقات متتالية على الباب فتجاهلها بل انه لم يسمعها وأكمل عمله الى ان دلف الطارق وأغلق الباب خلفه قائلا بحنق:
-ايه يا يوسف مش سامع الـ..
قاطع يوسف كلامه بإشارة حادة من يده وتابع عمله ، صمت الشاب قليلًا ثم جلس على المقعد امام المكتب ونظر الى تلك اللافته الحديدية الصغيرة ليجد اسم صديقه " يوسف أحمد الشرقاوى"
مرت دقائق معدودة إلى أن رفع يوسف رأسه ليظهر لون عينيه الزرقاء وملامحه الجادة الوسيمة الرجوليه ، نظر الى صديقه لينطق بصوته الرخيم:
-ايوه يا دياب؟
إنتفض دياب جراء صوته المفاجيء ثم نظر اليه بضيق:
-ايه ياعم .. ابقى إدى إنظار.
-لا يا خفيف .. انا برفد على طول .. عايز ايه؟
ذم دياب شفتيه ثم قال:
-مفيش زهقان جيت اشوفك .. اخبار مريم ايه؟
نظر اليه يوسف بحدة قائلا:
-وإنت عايز منها ايه حضرتك؟؟
-إيه يا يوسف دى اختك .. يا سيدى انا بطمن بس.
رفع يوسف سبابته فى وجهه محذراً وهو يقول بجديه:
-عارف يا دياب لو فى يوم عرفت انك بتكلمها ..انتوا الاتنين تقروا على روحكوا الفاتحة .. انت فاهم .. احمد ربنا انك لسه عايش لحد دلوقتى من ساعة ما قولتلى انك بتحبها..
نظر دياب الى الناحية الاخرى وهمس بتهكم :
-كان يوم اسود .. ما انت شلفطنى ياخويا.
-نعم .. مسمعتش قولت ايه؟
نظر اليه دياب بإبتسامه ثم قال:
-بقول مفيش داعى للقلق يا جو .. ثق فيا وفى اختك.
عاد يوسف بظهره الى الخلف:
-الثقه دى خليهالك .. يلا بره.
نهض دياب ووقف امامه ثم مال واستند بكلتا ذراعيه على المكتب وقال بهدوء و طريقة سنيمائيه:
-هيجيلك يوم وتقع فى بحر الحب يا يوسف .. وساعتها مش هرحمك .. صدقنى مش هرحمك.
انهى كلماته ثم ابعد جسده عن المكتب والتفت بسرعة ليتجه الى الباب:
-دياب..
كان هذا صوت يوسف ليتوقف دياب مكانه ثم يلتفت ببطء ويقول:
-احم نعم ؟؟
-تعالى.
نظر اليه دياب ببراءة قائلا:
-ليه؟.. معملتش حاجه..
وقف يوسف وابتعد عن المكتب ثم سار بإتجاهه ليظهر جسده الرياضى القوي وطول قامته ، توقف امامه

ووضع يديه فى جيب بنطاله وهو يقول:
-ممم .. هات الطبنجه يا دياب.
اخرجها دياب من جيب سترته واعطاها اليه وهو بقول بضجر:
-طب عرفت ازاي؟
عاد يوسف الى مقعده مجدداَ ثم نظر اليه قائلا:
-انا مش عارف انت المفروض ظابط ولا حرامى ولا ايه بالظبط .. دا المفروض احنا اللى نحمى البلد.. مش نسرقها!!
ضحك دياب بشدة ثم قال:
-عاجبنى سلاحك يا جو ماتجيبه.
-بره .. ورايا شغل يلا بره.
زفر دياب بضيق وخرج متمتما بحنق:
-كويس انك عايش بعيد عن اهلك والله .. ايه دا؟

- أظلمت السماء و تلألأت النجوم بها كالألماس النقي ، اصبح اليخت فى عرض البحر الآن والرياح تزيد من سرعته! ..

تعالت النغمات الصاخبة وبدأ البعض فى التمايل معها والبعض يشرب انواع مختلفة من الخمر ، اما هى فجلست على المقعد وما تزال مرتدية حقيبة ظهرها ، رفضت الاختلاط بهم وجلست منعزلة قليلا..
رأتها فتاة من الجالسين فإتجهت اليها ثم جلست بجانبها و قالت:
-ايه يا بنتى مالك ؟! .. دى الرحله معمولة عشانك برده.
ابتسمت سلمي بتوتر قائلة:
-معلش مليش فى الجو دا.
-ايه مالك كدا ؟
لتجيب سلمي وكأنها تحاول لفت الإنتباه لما تراه:
-احم .. مش ملاحظة إن الجو وحش والموج عالي شوية..
-هو فعلا الجو بيمطر خفيف ، بس متقلقيش احنا بنتحرك مش واقفين.
-مممم..
علا صوت رنين هاتفها فأخرجته لتجده رقماَ غريباَ ، إستأذنت من الفتاة وإبتعدت عن الجميع ثم استندت على سور اليخت الحديدى و أجابت على المتصل بجديه:
-الو..
-أزيك يا روحى؟
ضمت حاجبيها بتعجب شديد ، صوته مألوف ولكنها لم تصل لصاحبه فقالت بجديه اكبر:
-مين معايا ؟؟
-معقوله مش عارفه صوت جوزك؟! ..انا خالد يا حبيبتى.
عضت على شفتها السفلى بغيظ ثم ابعتدت الهاتف وأغلقته تماماَ ثم وضعته فى حقيبة ظهرها وإرتدتها مجدداَ..
****
رفع عمرو الكأس الى فمه لينهى ما تبقى به من الخمر ثم نظر بإتجاه سلمى ليجدها وحيدة وبعيدة عنهم ، بدأ مفعول الخمر يعمل ويوقف عمل عقله ، أغمض عينيه و وضع يده على وجهه ثم عاد لينظر بإتجاهها لينهض فجـأة ويسـير بهدوء نحوهـا..
بدأت الامطــار بالتزايد فإبتلعت سلمى لعابها بقلق ثم إلتفتت لتجد عمرو امامها مبتسماَ:
-ايه فى ايه مالك؟
قالتها سلمي بتعجب فأغمض عمرو عينيه ثم نظر اليها مجدداَ بسُكر و نظرات غامضة غريبة فشعرت بالقلق وأدركت انه ثمل فتقول بتوتر:
-ايه يا عمرو عدينى.
نظر اليها بعينين شبه مغمضتين وهو ينطق بصوت ثقيل:
-هديتى وصلتلك؟!
لتجيب سلمى وهي تحاول العبور:
-آه عدينى بقى..
إقترب منها اكثر لتتراجع هي و تبتلع لعابها بقلق ، إلتصقت بسور اليخت الرفيع فـإستند عمرو بذراعيه علي السور ليحاصرها امامه بين ذراعيه وهو يتابع بسُكر:
-وعجبتك ؟؟ .. انا اعترفتلك فيها بحاجه..
شعرت بالخوف من محاصرته لها وغياب عقله عن العمل لتقول بتحذير:
-عمرو ابعد احسن وإلا..

إقترب بوجهه منها هامساً بنظرات هائمه:
-وإلا ايه..انا بحبك.
نظرت سلمى خلفه الى اصدقائهم لتستنجد بأحد فلاحظت شيئاً ارعبها اكثر من اقترابه منها ، شيئاً تخشاه وبشدة .. موجة غاضبة عاليه تتجه إليهم وبسرعه!!
إقترب عمرو منها اكثر لتصرخ سلمى بذعر وهيستيريا فإبتعد عنها عمرو بضجر قائلا:
-خلاص يا سلمى انا آسف.
تابعت سلمى صراخها وهى تنظر خلفه بصدمة فإنتبه عمرو و إلتفت ليجد ما تراه امامه ، شل عن الحراك و عقله عطل تماماً عن العمل و لكن تمكن من النطق بهلع:
-شـــــهــــــاب..
هدوء ثم ضربت الموجة اليخت بقوة ليختل توازن الجميع ويسقطوا ارضا ، ولوهلة هدأت الاجواء وإتزن اليخت مجدداً فنظر عمرو سريعاً إلى سلمى ولكن لم يجدها ، نهض بسرعة و نظراته تتسع بذعر رغم سُكره ليقترب من الحافة فيجدها ممسكة بالحافة وعلى وشك السقوط ، بدون تفكير أمسك بيدها وحاول جذبها ولكن مفعول الخمر ما زال نشطاً في عقله ، اختلت الرؤية امامه فكادت ان تفلت من يده لتصرخ بهيستيريـا و تردد بخوف:
-عشان خاطرى يا عمرو طلعنى متسبنيش..عشان خاطري.
كادت يدها ان تفلت تماماً من يده ولم يستطع رفعها من الدوار الذى يشعر به ليقول بعجعز:
-انا آسف يا سلمى .. مـ مش قادر..
نظر شهاب إلى الموجودين فلمح عمرو يحاول ان يرفع احداً ، ركض بإتجاهه ليجدهمـا فيهتف بلهفه و دهشـه:
-سلمى!
مد يده ورفع سلمى الباكية بشدة وجسدها يرتجف خوفاً ليقول شهاب:
-خلاص اهدى يا سلمى..
ولكن لا .. لم يحن موعد الراحة بعد ، ضربت موجة اخرى اليخت ليختل التوازن مجدداً فتسقط منهما تمام وتختفى فى المــاء ليصرخ كلاهما بذعر:
-سلمـــــى!
نظرا الى سطح الماء فى الظلام فلم يتمكنا من إيجادها ، احضر اليهم عماد مصباحاً قوياً لينير به الى ان وجدها تعافر مع الامواج:
-يا سلمى..
صرخ بها شهاب بذعر وخوف بينما احضر عماد طوق النجاة فألقاه شهاب اليها بسرعه..
لم تكن تجيد السباحة مطلقاً ، ولكن لحسن حظها تمكنت من إمساك ذلك الطوق القريب منها ليسرع شهاب بجذبه..
إقتربت من النجاة من اكبر مخاوفها ولكن قتلت موجة اخرى املها لتعيدها الى الماء وتبتعد عن اليخت بمسافه كبيرة:
-سلمى .. سلمى..
-هى راحت فين .. راحت فين؟؟
-مش شايفها ، مش موجودة .. يا سلمـى..
حركت المسكينة ذراعيها وقدميها بجنون اسفل سطح البحر ، خوفها مما هى فيه اثر عليها بشدة و ارعبهـا ، إستطاعت أخيراً الصعود لتشهق وتتنفس بسرعة ولكن اعادتها موجة اخرى إلي الاسفل..
برزت رأسها مجدداً لتشهـق في محاولة لسحب الاكسجين الي رئتيها ، اصبح اليخـت عبارة عن نقطة بعيدة مضيئه، نظرت حولها بخوف وهى تبكى ، لم تتحمل ما يحدث لها لتصرخ بشدة الى ان جاءت موجة عالية اخري لتعيدها الى الاسفل مجدداً..
****
لم يجدوا لها اثراً ، عاد عماد الى التجمع الخائف ليسأله احدهم بقلق:
-لقتوها يا عماد ؟؟
صمت عماد قليلا ثم قال وهو يسقط علي الأرض بإنهيار:
-لأ .. مش شايفينها..
الجميع في حالة صدمة ، خوف ، و فذع.. فقدوا الامل فى إيجادها ؛ فقرروا العودة الي الديار وساد الصمت القاتل بينهم..
****
أشرقت الشمس وهدأت امواج البحر ، إستيقظت على لمسات المياه لقدميهـا ، شعرت بثقل كبيــر على ظهرهـا ، حاولت النهوض ولكن لم تستطع تحريك اي عضلة فى جسدها ، ملمس الرمال المبتلة لوجنتها ناعم ، صوت الرياح وصوت تلاطم الامواج الهاديء يرن فى أذنيها ، مرت لحظات إلى ان جذبت

ذراعيها لتستند عليهما وتبتعد عن تلك الرمال فتسعل بشده ، ازاحت خصلات شعرها المبتلة عن وجهها ثم جلست ووضعت يديها على رأسها بألم شديد..
نظرت حولها لتجد البحر امامها فتشهق بذعر وتتراجع..
لم تمت لا تصدق .. أين هى إذن ؟.. !
نظرت حولها فرأت أشجار ونخيل كُثر ، وقفت بصدمة ولكن خانتها قواهـا لتعود مرة اخرى إلى الرمـال و تسقط ، البحر يحيطها من الامام والجانبين ، هى موجودة في مكان أشبه بالجزيرة ، جابت ببصرها المكان وهي تحتضن جسدها و ترتجف رعباً..
لم تقتلها الامواج والبحار فسيقتلها اليابس إذن..
شعرت بثقــل كتفيها فمدت يدها للخلـف لتجدها حقيبة ظهرها ، تذكرت وجود هاتفها بالحقيبه ، حمدت الله على انه مضاد للماء ، فتحت حقيبتها لتجد جميع ملابسها وكُتبها الروائية مبتله ، بحثت عن هاتفها الى ان وجدته فحاولت إعادة تشغيله ولكن البطارية كانت قد نفذت ، القت به بعيداً بإنفعال ثم ضمت ركبتيها الى صدرها وخبأت وجهها ، ثم أجهشت فى البكاء..
****
وصل اليخــت الى اليابس ليخرج منه الجميع باكياً ، منتحباً و مصدوماً ، وقف اهالي الطلبه ليستقبلونهم بهدوء في حين نظر شوقي بينهم يبحث عن ابنته الغائبة ، إزداد قلقه عندما خرج الجميع و لم يجدها بعد ، لاحظ الدموع المتحجرة فى أعين زملائها فسرى القلق فى اصوله اكثر ، إتجه الى شهاب —الذى خرج لتوه متأخراَ— ليستفسر عن غياب ابنته فقال بقلق شديد:
-قولي في ايه يا شهاب يابني .. سلمى فين؟؟
نظر اليه شهاب لتهبط دموعه الحارة فهزه شوقى بعصبية:
-ما تنطق يابنى..
إبتلع شهـاب لعابه ثم نظر اليه قائلا بصوت مرهق ومبحوح:
-الموج كان عالى يا عمي .. و موجه ضربت اليخت و..و هى كانت قريبة من الحافه ..وآآ .. غرقت.
ضم شوقى حاجبيه وهو يحدق به بصدمة عارمة ثم قال:
-انت بتقول ايه ؟ ، سلمى بنتى؟؟ .. غرقت ..ماتت؟
لم يجب وظل صامتاً فنهره شوقى بعنف:
-انطق يابنى سلمى حصلها ايه؟؟
ليجيب شهاب مقاطعاً ودموعه تهبط:
-غرقت ياعمى .. ملقينهاش.
تراجع شوقي بصدمة وهو يتمتم والدموع تتكون فى عينيه :
-لأ .. مش ممكن مستحيل.
****
إنها النهاية .. نهاية الحياة بالنسبة لها..
يأست من البكاء وتعبت منه ، مرت ساعات طوال وهى عالقة هنا .. وحولها المياه الممتده..
****
صف سيارته الثمينة فى جراج بيته وترجل منها يوسف ببدلته الانيقة القاتمه ، دلف الى بيته وأغلق الباب بقدمه بحركة رشيقة ثم تحرك ليصعد الدرج فقاطعه دلوف رجل من الباب ، رفع ذلك الرجل رأسه ليجد يوسف ينظر اليه ليقول مبتسما:
-إزيك يا يوسف يابنى؟
-إزيك انت ياعم محمد .. كنت فين كدا؟؟
-كنت بشوف اللانش عشان امشى ، وجيت اجيب الطعم..
-ممم .. ربنا يعينك يا صياد.
ضحك محمد ثم قال مستنكراَ:
-على اساس انك مولود بالبدله؟! .. ما انت كنت بتصتاد وانت صغير معايا.
تابع يوسف صعود تلك السلالم الطويلة قائلا:
-انت قولت اهو ..كنت.. يلا ربنا يعينك.
ابتسم محمد وتابع ما يفعله ثم خرج بشبكته وصعد الى الـ " لانش" ثم إنطلق..
****
سمعت صوت معدتها الصغيرة تتلوى جوعا فوضعت كفها عليها ببطء ثم قال وهي تنعي حظها:
-يعنى هتيجى على الجوع ؟! .. انا كدا كدا ميته.
امسكت بهاتفها مجدداً وحاولت فتحه ولكن كما هو بطاريته فارغـه ، وضعته بجانبها بهدوء وإستسلمت لشبح المــوت المنتظــر ..
لحظات مرت ولـم تتحمل وحدتها فأجهشت فى البكاء مجدداً مخبئة وجهها بين كفيها..

مهلاً فليهدأ البكاء الآن ..
صوت محرك بعيد ولكنها تسمعه ، رفعت رأسها بصدمة لتجد صياداً بعيداً يتحرك فوق مركبه ، بالكاد تستطيع رؤيته فهو بعيد جدا ؛ بالطبع من الذى قد يفكر فى المجيء الى هنا! ..
صرخت بصوتها الضعيف عله يسمعها و هي تقف و تشير بكلتا ذراعيها فى الهواء وقد بدأت فى البكاء مجدداً وهي تهتف برجاء باكيه:
-يا عم .. الحقـوني انا تايهه.
لكن يبدو انه لا يستطيع سماع صوتها ، نظرت حولها وهى تبكى بهيستيريا ، فرصة جاتها الوحيده فى ذلك الصياد البعيد ، مهما كان ما سيفعله بها بعد إنقاذها ، ولكن لا تتحمل البقاء هنا وحيدة لفترة اطول..
بدأ الصياد بالابتعاد .. لا تعرف ماذا تفعل!!
نظرت الى تلك النخلة الطويلة وفكرت سريعا..
إتجهت نحوها وحاولت تسلقها ، من المؤكد أن يسمع صوتها من الاعلى..
ولكن أثناء صعودها جرحت قدمها بشدة فسقطت عليها لتتألم بشدة وتتمزق ملابسها من الطبقة الخارجية الخشنه للنخله .. لم تعبأ بها ، حاولت الصعود مجدداً فتمسكت بيديها في ساق النخله و أجبرت قدمها المصابة على الصعود معها وهى تكتم ألمها وتتحمله..
وصلت الى نقطة عالية والدماء تتساقط من باطن قدمها و جروح ساقها لتصرخ مخرجة ألمها وخوفها من إبتعاد ذلك الصياد..
وصل صوتها إلى "محمد" فإلتفت ينظر الى تلك الجزيرة فلم يستطع رؤية أحد عليها..
أدركت انه لا يستطيع رؤيتها فحاولت الاشارة بذراعها ليزداد الضغط على قدمها المصابة فتنزف الدمــاء اكثر لتطلق سلمـى صرخة ألم ثم تتحول صرختها من الألم الى الذعر والخوف وهى تبتعد عن موضعها و تسقط من أعلي و انظارهـا معلقة بالسمــاء ، هدوء شديد حولها ورغم سرعة سقوطها إلا انها تشعر بهدوء كل شيء حتي سقوط جسدها إلي ان اصتدمت رأسها بالارض بقوة ليستقر جسدها الصغير على الرمال مجدداً..
ثم تتلاشى الرؤية امامها تماماً..
رأى محمد شيئا يسقط من مسافة بعيدة فإتجه بالـ " لانش " ناحية ذلك المكان..
وصل إليها ليهبط ويركض نحو ذلك الشيء الساقط فيفزع ويتراجع بصدمة عندما يجدها فتاه ، وضع كفه على رأسه غير مصدق لهيئتها وملابسها الممزق معظمها وجروح جسدها الغائره..
جثى على ركبتيه ثم امسك بيدها ليتفحص نبض قلبها ، حمد الله انها ما تزال على قيد الحياة ، نظر اليها قليلاً ثم حملها بحذر من أن يصيب جروحها ضرر اكثر ووضعها برفق على سطح الـ " لانش " ثم عاد ليحضر حقيبة ظهرها ولم يلحظ هاتفــها المختبيء بين الرمــال..
أدار المحرك مجدداً وهو ينظر الى إصابة قدمها ، بحث عن اى شيء يوقف به الدماء من التدفق فلم يجد شيئا يصلح ، اقتــرب منها وامسك بقطعة من ملابسها الممزقـة تماماً ثم ربطها حول اصابتها وعاد مكانه وانطلق عائداً الى المنزل..
تجمعت أفكاره حول سر تلك الفتاة وهويتها ، من تكون وما الذى جاء بها الى هنا ؟!
إلى ان قفزت من بين تلك الافكار فكرة شديدة الاهمية اقلقته ، تمثلت فى سؤال اهم..
"ماذا سيكون رد فعل يوسف عندما يراها امامه ؟؟"

- وصل الـ " لانش " إلى الشاطيء فحمل محمد الحقيبة أولاً و أدخلها ليقابل يوسف المتجه إلى حجرة المكتب فيقف و تتبدل ملامحه لتوتر شديد ، نظر إليه يوسف بتعجب ثم قال وهو يشير الي الحقيبه:

-إيه اللى فى إيدك دا يا عم محمد ؟! ، إنت بدل ما تجيب سمك بتجيب شنط!
إبتلع محمد لـعابه بقلق ثم وضع الحقيبة جانباً:
-لا طبعا يابنى .. بس ، اصل دى مش بتاعتى.
ضم يوسف حاجبيه وتقدم ناحيته:
-امال .. بتاعة مين ؟
ضم محمد حاجبيه ثم قـال بجديــه:
-بص يا بنى دى بتاعة بنت غلبانه و لو شوفتها هتصعب عليك والله ، كنت لسه برمى الشبكة وانا عـ الـلانش لقيتها بتصرخ ووقعت من على نخله عاليه وهدومها كلها متقطعة ، دا غير إن جسمها متعور جامد..
نظر إليه يوسف ببرود و لم يتأثر بما قال ، ساد الصمت بينهما للحظات إلى ان قال يوسف بلا إكتراث:
-هى فين دى ؟!
-بره فى اللانش و بين الحيا و الموت.
ضم يوسف حاجبيه ثم قـال:
-هاتها كدا يا عم محمد لو سمحت..
أومأ محمد برأسه ثم خرج ، مرت لحظات إلى أن دلف مجدداً حاملاً سلمى بين ذراعيه..

نظر يوسف لهيئتها فلاحظ جرحاً غائراً فى باطن قدمها وينزف بشدة بالإضافة الي جروح طولية في ساقها ، زفر بضيق و هو يشيح بوجهه للناحية الاخرى ثم قال بإنفعال يحاول تخفيفه:
-اتصرف معاها يا عم محمد و اول ما تفوق تمشى من هنا.
-حاضر ..حاضر يابنى..
صعد بها محمد الدرج ودلف الى غرفة ليضعها بها ، أخرج علبة الإسعافات الاولية وشرع فى تطهير جراحها..
كانت ملابسها ملطخة بالدماء وممزقة فلا تكفى لسترها جسدهت بالكامل ، إنتهى من تطهير إصابتها ثم نهض وخرج من الغرفة..
بعد دقائق عاد برفقة زوجته التى تحمل عبائه نسائية بين يديها:
-تعالى يا فاطمة ، غيرلها هدومها دى.
قالها محمد لتنظر فاطمه إلى الفتاه الراقدة علي الفراش وإلى هيئتها لتضم حاجبيها و تقول بأسي:
-ايه اللى حصلها يا حج محمد؟؟ ، مين اللى بهدلها كدا منه لله..
ثم صمتت للحظات وقالت متسائله:
-هى مين اصلا؟
ليجيب محمد وهو ينظر الي سلمى:
-مش عارف والله يا فاطمة .. كل الاجوبه عندها ، بس لما تفوق .. لبسيها العباية دى بس و خليكي معاها..
-حاضر يا حج..
خرج محمد من الغرفة و أغلق الباب خلفه لتنظر فاطمة الى سلمى بشفقة ثم تبدأ في تبديل ملابسها..
****
طرق باب منزلها ثم تراجع خطوتين ناظراً الي الأرض لتفتح له والدتها ليقول بخفوت:
-أزيك يا طنط ؟
-اهلا يابنى .. اتفضل.
دلف من الباب قائلا:
-ميادة اخبارها ايه دلوقتى؟
تنهدت والدة ميادة بحزن ثم قالت بحسره:
-ساعة ما عرفت يا شهاب أغمى عليها ، و لما فاقت فضلت حابسه نفسها ومش راضيه تطلع..
صمت شهاب قليلا ثم قال برجاء:
-طب لو سمحتى ممكن اكلمها ؟؟
-إتفضل يابنى يمكن تسمع كلامك.
إتجه دياب الى غرفتها وخلفه والدتها ، طرق الباب بخفة ثم قـال بهدوء:
-ميادة ..حبيبتى انا شهاب إفتحيلى.
كانت تضم ركبتيها الى صدرها وتجلس على فراشها وتبكى بشدة إلى ان سمعت صوته يناديها مراراً فنطقت بصوت يملأه البكاء:
-الباب مفتوح يا شهاب.
فتح الباب ببطء ثم دلف بروية ولم يغلق الباب خلفه ، إتجه اليـها بهدوء ثم قال بحزن:
-خلاص يا مياده متعيطيش.
رفعت بصرها لتنظر اليه ثم تقول باكيه:
-سبتها تغرق ليه يا شهاب ..سبتها تموت ليه؟؟
ضم حاجبيه بحزن وترقرقت أعينه بالدموع ثم قال:
-والله يا ميادة عملت اللى اقدر عليه ، يعنى انا هسيبها تموت..
صمتت قليلاً ثم أجهشت فى البكاء مجدداً فنظر اليها بحزن ثم جلس بجوارها و جذبها الى احضانه قائلا بهدوء:
-خلاص اهدى يا حبيبتى ، ربنا يرحمها.
****
حركت ذراعها لتضع كفها فوق رأسها بألم ، فتحت أعينها ببطء وظلت تنظر الى الفراغ امامها للحظات ، أطلقت " آه " متألمة عندما حاولت تحريك قدمها ، نظرت حولها لتضم حاجبيها بتعجب ، أين هى ؟ ..
حاولت الجلوس ولكن لم تستطع ، نظرت الى ذراعها اليسرى لتجدها ملفوفة فى رباط طبى..
نظرت الى الباب الذى فتح لتوه لتدلف منه فاطمة و تقول بإبتسامه:
-حمد الله على السلامة يا حبيبتى.
نظرت اليها سلمى بقلق ثم قالت:
-اناآآ .. انا فين ..انتى مين ؟؟

-انا يا حبيبتي اسمى فاطمة .. انتى إسمك ايه ؟
أمسكت برأسها بألم ثم قالت::
-انا إيه اللى حصلى..
-احنا لقيناكى كدا وإستنينا لما تفوقى عشان تقوليلنا انتى..
صمتت قليلا ثم رفعت رأسها لتنظر إليها و تقول بدهشه:
-لقتونى يعنى ايه .. انتوا مين ؟
-قوليلى انتى الأول .. اسمك ايه ؟
عاد الصمت من جديد حاولت التذكر ، تذكر اى شيء ولكن لم تصل لنتيجه:
-انا مش ، مش فاكرة .. انا مش فاكره حاجة..
شهقت فاطمة بصدمة ثم ضربت علي صدرها و قالت:
-يوه .. يعنى إيه .. نسيتى نفسك ؟
نظرت اليها سلمى قليلا ثم حاولت النهوض مجدداً فلم تستطع:
-ممكن تساعدينى اقوم؟
سارت نحوها ثم وضعت وسادة خلف ظهرها لترتفع قليلا ، سمعتا طرقات على الباب ثم دلف محمد حاملاً حقيبتها:
-حمد الله على سلامتك يابنتى.
صمتت سلمى قليلا ثم قالت بهدوء:
-الله يسلمك .. هو فى ايه؟؟
ضم محمد حاجبيه ثم نظر الى فاطمة التى قالت بتعجب:
-بتقول مش فاكره حاجه.
ليقول محمد بتعجب و دهشه:
-مش فاكرة ايه؟!.. يعنى فقدتى الذاكرة ؟؟
صمتت سلمى فتقدم العم محمد نحوها ومد يده بحقيبتها:
-دى بتاعتك ؟
نظرت اليها للحظات و ابتلعت لعابها ثم رفعت بصرها لتنظر اليه وقالت:
-معرفش .. ممكن حضرتك تقولى انتوا مين..وانا مين وبعمل ايه هنا ؟؟
ذم محمد شفتيه بتعجب ثم قال وهو يرفع حاجبيه:
-اقولك انتى مين ؟.. انا عايزك انتى اللى تقولى ..انتى مين ؟
-امال انا بعمل ايه هنا ؟
جلس محمد على طرف السرير وهو يقول:
-هقولك ..انا صياد يابنتى ، لقيتك على جزيرة وكان مغمى عليكى وحالتك صعبة فجبتك هنا.. بس.
ضمت حاجبيها بتعجب ثم قالت بعد لحظات:
-جزيرة ؟ .. طب انا بعمل ايه عليها؟
-باين كنتى تايهه .. شنطتك اهى وهدومك كلها مبلولة .. انا استنتجت انك كنتى فى البحر والموج رماكى على الشط .. امبارح كانت العاصفة جامدة.
حاولت التركيز ولكن لا تستطيع تصديقه ، ذاكرتها الان اصبحت ناصعة البياض ولا تتذكر شيئاً..
نظر اليها محمد ثم ابتسم وقال مطمئناَ:
-متخافيش .. إنتى هتفضلى هنا لحد ما تتحسنى.. هاتيلها تاكل يا فاطمة..
-حاضر..
نظر إليها مجدداً ثم تابع:
-انتى حصلك إلتواء فى دراعك الشمال ، مع الوقت هيتحسن .. ورجلك متعورة جامد ومحتاجه عناية جامده و راحه .. يعنى متقفيش عليها كتير.
صمت قليلا ينظر اليها ثم سألها بتأكيد:
-طب انتى مش فاكرة اسمك حتى؟
إغرورقت أعينها بالدموع وحركت رأسها بالنفى فربتت فاطمه على كتفها بحنان:
-متقلقيش يا حبيبتى .. وهدومك هغسلهالك عشان تلبسيها و كل حاجه هتبقي زي الفل ان شاء الله.
إبتسمت لها سلمى إبتسامه صغيرة فخرجت فاطمة لتعد لها الطعام وإستأذن منها محمد ليخرج من الغرفة ويتجه الى حجرة المكتب..
****
طرق الباب و وقف قليلا الى ان سمع صوت يوسف يأذن له قائلا:
-ادخل..
دلف ثم أغلق الباب خلفه واقترب من مكتبه و وقف صامتاً..

كان يوسف منكباً على ملفات ويعمل بها بتركيز وأعين حاده ، لاحظ وقوفه فرفع رأسه ونظر إليه وقال بجمود:
-ما تعد يا عم محمد .. ايه مالك؟
جلس على مقعد امامه وظل صامتاً يفكر و يرتب كلماته ثم يضعها فى جمل حتى يبتعد عن عصبيته:
-فى ايه ياعم محمد؟!
نظر اليه للحظات فرفع يوسف احد حاجبيه و قال:
-مالك؟!
ليتمتم محمد بإرتباك:
-احم.. البنت فاقت..
عاد يوسف لـيفتح ملف آخر بعدم إكتراث و هو يقول:
-ممم طب كويس .. خليها تمشى .. ترجع بيتها.
رمش محمد بعينيـه بإضطراب ثم قال:
-ايوه بس .. فى مشكلة.
ترك يوسف الاوراق من يده بجدية ثم نظر اليه بحدة:
-مشكلة ايه دى ؟؟
شعر بالقلق من رد فعله فنظر اليه بتردد ليحثه يوسف قائلا:
-فى ايه يا عم محمد ؟؟
ابتلع لعابه في تردد ثم قال بهدوء:
-البنت .. باين كدا فقدت الذاكرة .. مش فاكره ولا حتى إسمها ..
ضاقت حدقة عيني يوسف و هو يحدق به ثم قال بحزم:
-يعنى إيه ؟!
-مش عارفه هى مين .. مش هتعرف تمشى من هنا!! ..

- -مش عارفه هى مين .. مش هتعرف تمشى من هنا.

ضيق يوسف حاجبيه و لم يجب عليه هذه المرة ، طال الصمت بينهما فنظر اليه محمد ليجده ينظر اليه بحدة ليقول:
-انا عارف انك مش فاضى للحاجات دى ، ولو مكنتش عايزها تعد هنا هاخدها عندى فى البيت.
عاد يوسف بظهره للخلف و هو ينظر امامه و زفر بضيق شديد ثم قـال:
-لا مينفعش .. انت ناسى ان ابنك على وش جواز ، والله اعلم هى نيتها ايه.. وزى ما بتقول مش فاكرة حاجة بجد ولا بتستهبل علينا..متخربش على ابنك انت .
ثم تابع بنظرات ثاقبة لفراغ الغرفه:
-إنما بقى حكاية انها تفضل عندى .. لا انا شاكك فى البت دى ، ما يمكن مبعوته ليا .. انت ناسى انى ظابط يا عم محمد.
-وهى هتعمل ايه يعنى؟
نظر اليه قليلا ثم قال:
-البيت هنا مينفعش لغريب يعد فيه .. وخصوصاً فى حالها دا .. هه فقدت الذاكرة ، لا حلوة اللعبة دى.
صمت محمد قليلا ثم قال مدافعاً بهدوء:
-طب وجروحها اللى مالية جسمها وهدومها اللى كانت متبهدلة .. ولا شكلها..
ليأتيه رد يوسف القاطع:
-كدب .. اللى زيها تعمل اى حاجة فى نفسها عشان الفلوس .. انت غلطان من الاول انك جبتها.
-ايوه يابنى بس افرض انت ظالمها..
صمت يوسف قليلا و هو ينظر امامه بشرود ثم نظر اليه قائلا بجدية:
-خليها تجيلى هنا يا عم محمد.
-هتعمل ايه ؟
-هشوف إذا كانت بتكذب ولا لأ.
-ايوه بس آآآ.. احم مش هتعرف تيجى..
نظر اليه يوسف ثم قال بإنزعاج:
-ليه ان شاء الله .. مشلولة؟!
-لأ يابنى بعد الشر ، بس الجرح اللى فى رجلها محتاج راحه.
استند يوسف بمرفقيه على المكتب ثم طرق بسبابته سطح المكتب بقوة وهو يقول بحدة:
-إطلع خليها تنزل هنا .. شيلوها إرموها مليش فيـه.
-حاضر يابنى..حاضر.
خرج محمد من الغرفة وصعد الدرج متجهاً لـغرفتها ، طرق الباب لتفتح له زوجته فاطمة فيدلف قائلا:

-معلش يا بنتى .. يوسف بيه عايزك.
نظرت اليه سلمى بتعجب ثم قالت:
-يوسف مين ؟
-صاحب البيت..
صمتت قليلا ثم نظرت إلي قدمها وقالت:
-طب انا هنزله ازاى ؟؟
نظر محمد الى فاطمة ثم قال بنفاذ صبر:
-إسنديها معايا يا فاطمة خليها تنزل ليوسف بيه.
-حاضر يا حج محمد.
إقتربا منها وساعدتها فاطمة فى انزال قدمها المصابة برفق ثم أسنداها لتخرج من الغرفة وتهبط الدرج..
****
طرق محمد الباب و سلمى تنظر حولها تتفحص المكان وتنتظر دلوفها الى ان سمعوا صوته يأذن لهم بالدخول فدلفوا لينظر يوسف الى تلك الفتاة بملامح جامده..
أجلسها محمد على المقعد ثم إستأذنهما وخرج مغلقاً الباب خلفه..
نظرت حولها بدهشة و هى تتأمل ديكور الغرفة الرقيق المتناسق ، والزخارف الرقيقة الموجودة في سقف الغرفة الأبيض ، الغرفة باردة و هادئـه..
لم تنظر اليه بعد ، أما هو فكان مسلطاً نظراته عليها فقط يتفحص ملامحها بصمت..
إنتهت من معرفة ديكورات الغرفة الفخمة لتلتفت الى ذلك الشاب الجالس على المقعد يحدق بها ، إلتقت أعينها الخضراء بأعينه الزرقاء كلون البحر الذى أحضرها اليه ، شعرت بالتوتر من نظراته الثاقبة وصمته الطويل لتقطعه قائلة بهدوء:
-احم .. نعم؟
صمت لثوانى فشعرت بمرورها كالدهر فقطعت الصمت ثانية بصوتها و قالت:
-عمو محمد قالي انك عايزنى .. فى حاجة؟
أخذ يوسف نفساً طويلاً ثم أخرجه بتمهل و قال:
-ممم .. عايز اعرف انتى مين ؟
مطت شفتيها بحزن ثم قالت بهدوء:
-والله لو حضرتك تعرف قولي انت..
-يعنى فقدتى ذاكرتك ؟؟
سألها و هو يرفع حاجبيـه لتجيب بتمهل:
-باين .. بيقولوا.
-طيب .. كنتى بتعملى ايه على الجزيرة دى؟
-معرفش .. مش فاكرة.
-طب ايه اللى عورك كدا؟
-قولت معرفش..
بدأ الانفعال يظهر فى نبرة صوتها مع جملتها الاخيرة فإستقبله يوسف بملامح باردة تماما ثم همهم بـ: ..
-مممم..
نهض من مكانه وإبتعد عن مكتبه ليجلس على المقعد المقابل لها ثم يستند بمرفقيه على أرجله وقال ببرود و هو ينظر الي عينيهـا:
-إسمك ايه ؟
صمتت ولم تجب ، نظرت اليه بضيق لتجد ملامحه جادة وجامده ؛ إذن فهو لا يمزح ! ، أيظن انها تخدعه ؟! .. من يظن نفسه ذلك الاحمق:
-مبترديش يعنى..
قالها بسخرية طفيفة لتفيق من تفكيرها لتنتبه اليه وتقول بثبات:
-قولتلك معرفش .. مش فاكرة حاجه.
-مممم.
إرتسمت ابتسامه صغيرة ساخرة على شفتيه لتضم حاجبيها بضيق وتنظر الى الناحية الاخرى لتسمعه يقول بسخريه:
-ويا ترى ايدك مالها.
-عمو محمد بيقولى إلتواء.
-ورجلك ؟
-مجروحة .. ما انت اكيد عارف.
-وانا اعرف منين .. و انا كنت اعرفك..

نظرت اليه رافعة حاجبيها ثم قالت بتعجب:
-هو فى ايه حضرتك ؟؟
نهض من مكانه ثم قال:
-مفيش..
مر بجانبها وتعمد ان يصتدم بساقها المصابة ليتأكد ان كانت مصابة حقاَ أم انها بعض التأثيرات السنيمائية ليسمعها تصرخ بألم ثم تهتف:
-آآآآآه حاسب يابنى آدم.
نظر اليها ببرود وهو يذم شفتيه ثم قال بلا إكتراث:
-معلش .. ماخدتش بالى.
أخفضت بصرها تتفقد ساقها والدموع المتألمة تتكون فى أعينها و هي تتمتم:
-هعمل بمعلشتك ايه يعني ، اصرفها فين دى..
-قولنا معلش.
شعرت بشئ ساخن يتحرك ببطء فوق اصابتها وبألم شديد فيها لتصرخ بألم:
-آآآه رجلى آآآه.
نظر يوسف إلى قدمها ليجد القماش الابيض الملفوف عليها تحول الى اللون الاحمر من الدماء ، أسرع و جثى على ركبتيه امامها وكشف عن ساقها وحاول إبعاد القماش و هو يضم حاجبيه لتصرخ به:
-انت بتعمل ايه ما انت السبب ابعد عنى.
-اهدى ، الجرح اتفتح اصبرى.
صرخت به ودموعها تتلألأ فى اعينيها وتأبى الخضوع والهبوط امامه:
-ابعد عنى يا حيواان..
نظر اليها فجأة واتسعت حدقه عينه غضباَ لتكف عن الصراخ فجأة وتنظر اليه بتوجس ليصيح بصوت هادر قائلا:
-عـم محــمد.
أغمضت اعينها بشدة جراء صوته ثم فتحتهما ببطء فلم تجده امامها ..نظرت الى المكتب لتجده يجلس على مقعده والغضب يتطاير من عينيه ، مرت لحظات الى ان دلف محمد و هو يقول بقلق:
-ايه يا ولاد مالكوا ؟؟
-خد الانسة ولا المدام ولا الانسانه دى من هنا..
-طيب حاضر.. تعالى يا بنتى ... ايه دا الجرح اتفتح تانى.
نظرت اليه بألم وقد إنتبهت الى إصابتها ثم قالت و هي تتحسس ساقها:
-آه .. بتوجعنى.
-طب تعالى اسندى على كتفى يا بنتى.. براحتك.
ما إن خرجا من الغرفة حتى زفر يوسف بضيق.. إذن فمن الممكن انها تقول الحقيقة! ..
اخرج كتاباَ حالته سيئة و صفحاته مبتله ليضعه امامه و يفتح اولى صفحاته ثم تمر لحظات ليضم حاجبيه بتركيز وحدة و هو ينظر الي الإسم المكتوب امامه بحبر باهت..
****
أزاح العم محمد الاقمشة و بدأ فى علاج إصابتها مـجدداَ:
-هو ايه اللى حصل يا بنتى؟
ضمت سلمى حاجبيها بحزن وهى تنظر الى إصابتة قدمها وقالت:
-هو اللى بدأ..
نظر اليها بإهتمام قائلا:
-بدأ ازاى مش فاهم ؟
-اعد يسألنى انتى مين وإسمك ايه وايه اللى عورك وبتعملى ايه هنا .. وانا اقوله معرفش مش فاكرة والله .. يعيد الاسئلة تانى .. وبعد كدا خبطنى فى رجلى..
ضم محمد حاجبيه ثم قال بتعجب:
-خبط رجلك؟! .. عشان كدا الجرح اتفتح تانى.
-آه .. بسببه.
-طب هو مضايق ليه؟؟
صمتت للحظات بخجل ثم رفعت حاجبيها ببراءة:
-مهوو.. اصل لما هو خبطنى انا شتمته.
رفع حاجبيه بدهشة قائلا بصدمة:
-شتمتى يوسف ؟؟
نظرت اليه وضمت حاجبيها قائلة:

-ايوه .. بس هو اللى خبطنى .. هو اصلا انسان مستفز و..
ليقاطعها محمد بلهفه وتحذير:
-ششش اسكتى .. اهدى يا بنتى وخافى على نفسك دا ظابط.
اتسعت حدقه عينيها و هى تنظر اليه ثم وضعت يدها على ثغرها بصدمة وقالت:
-ظابط يعنى ايه ؟؟.. لالالا يا عمو مش عايزة اتسجن لأ انا آسفه.
نظر اليها ثم ابتسم و قال ضاحكاَ:
-لا مش للدرجه دى .. بس يوسف بالذات كبير وصغير بيحترمه .. مابالك بقى انتى شتمتيه.
إنتهى من معاينة اصابتها ليبتسم قائلا:
-انا خلاص خلصت..
-شكرا ..
صمتت لوهلة ثم قالت بتمهل:
-يعنى افهم من كدا انى مش مرحب بيا هنا.
تنهد محمد بحيره ثم قال بعد لحظات:
-بصى يا ستى .. يوسف طبيعته جادة وشخصيته صعبه .. بس مع اللى بيحبه حنين وطيب ..لكن الغريب الوضع بيختلف ، بياخد حذره يعنى عشان هو ظابط.
-وهو كل الظباط كدا.
-لأ ، بس .. يوسف يعتبر قدوه لكل زمايله و هو الاقرب لمديرهم فعشان كدا جاف فى التعامل شويه عشان محدش فيهم يتعامل بمشاعره مع المجرمين اللى هناك .. وغير كدا هو عايش لوحده فبيحب الخصوصية.
ضمت سلمى حاجبيها قائلة بتعجب:
-عايش لوحده ! مش انت والده..
ابتسم محمد بلطف ثم قال:
-لأ يا بنتى .. انا بيتى جنب البيت دا .. هو اسمه يوسف احمد الشرقاوى .. والده احمد ووالدته وفاء ..معندوش غير اخت واحدة اصغر منه بسنتين اسمها مريم .
-وهما فين ؟؟
-دول عايشين فى مصر .. فى القاهرة .. انما احنا هنا فى منطقة شبه منعزله عن السكن.
-طب ليه كدا ؟
-هو حابب كدا ... احنا اتكلمنا كتير .. يلا نامى والصباح رباح..
-بجد شكراَ على كل حاجه .. وآسفه لو وجودى سبب مشاكل بس .. والله منا فاكرة حاجه.
نظر اليها محمد بإشفاق ثم أومأ برأسه و قال:
-مصدقك يا بنتى ، انتى شكلك بنت حلال.. وإدعى من قلبك لربنا انه يشفيكى.
ابتسمت سلمى ثم قالت:
-يا رب.
ربت محمد علي كف يدها ثم نهض و خرج من الغرفه مغلقاَ الباب خلفه ، نظرت سلمى حولها بقلق ثم إستلقت بالكامل على السرير وإستسلمت لسلطان النوم المنتصر..
****
نسمات الهواء الباردة تضرب وجهها الناعم برفق.. تتطاير خصلات شعرها بشكل عشوائى مع حركة الرياح..
رأت جسدها يطفو امامها فوق سطح الماء ، يطفو ويقترب من الشاطيء الى ان استقر امامها ، صوت امواج البحر تتلاطم بغضب رغم هدوء البحر امامها ، صوت صياح احدهم يحذرها ويناديها ، إقتربت منها المياه بشكل سريع ليطفو جسدها مجدداَ فتبتعد هى عنه بخوف ، إختفى اليابس فجأة واصبحت فى الماء ، مرت لحظات صمت الى ان جُذبت هى الى اعماق البحر لتختفى هى ايضاَ مع اليابس فى البحر الواسع..
شهقت كالغريق بذعر ونظرت حولها بأعين متسعة ونفس لاهث ، ابتلعت لعابها و أغمضت اعينها ثم فركت جبينها وهى تتنفس بسرع ..كان مجرد حلم .. بل كابوس غريب ..
نظرت الى النافذة لتجد اشعه الشمس تعبر من بين الستائر لتضيىء اجزاء من الغرفة..
مدت يدها لتزيح الغطاء عنها ونظرت الى العبائه التى ترتديها بضجر ؛ حقا هى غير مرتاحه هنا.. رفعت قدمها بحذر وأنزلتها برفق ثم امسكت بمقعد بجانب الفراش لتستند عليه وتقف..
تحركت وهى تحاول تخفيف الثقل عن قدمها المصابة ثم إقتربت من الباب ووفتحته و هى تستند على الحائط..
خرجت من الغرفة ونظرت حولها تبحث عن الدرج لتهبط الى الطابق السفلى الى ان وجدته فتابعت الاستناد على اى شيء لتصل الى الدرج:
-بتعملى ايه هنا؟!

انتفض جسدها ثم التفتت ببطء لتنظر الى يوسف الذى يحدق بها بشك:
-انا بدور على عمو.
-عمو مين ؟؟
-احم عمو محمد.
-عم محمد مش ساكن هنا .. مفيش حد هنا غيرى .. وانا خارج..
-طيب لو سمحت هو فين ؟.
-البيت اللى جنبنا.
-طيب شكراَ..
التفتت لتذهب ولكن إتسعت حدقة عينها بتعجب و دهشة عندما قال يوسف بلهجة غامضه:
-سلمى! ..

- إلتفتت لتذهب ولكن إتسعت حدقه عينيها بتعجب و دهشة عندما قال بلهجته الغامضة:

-سلمي..
إلتفتت لتنظر اليه و هي تضم حاجبيها ثم قالت بـتعجب:
-مين ؟! بتكلمني انا؟؟
رفع يوسف احد حاجبيه ثم قال :
-مش دا اسمك برده ؟!
-والله ما اعرف ، انا بجد مش فاكرة حاجة .
قالتها سلمى بصدق فأومأ يوسف برأسه ثم مد يده بذلك الكتاب المنكمش و تابع:
-الكتاب دا كان في شنطتك اللي فيها الهدوم ، انتي كاتبه اسمك في اول صفحة.. سلمى شوقي.
إتسعت ابتسامتها و هي ترفع حاجبيها و تقول بسعاده :
-يعني انا اسمى سلمى و بابا اسمه شوقى؟
لم يهتم بالإجابة عليها بل وضع الكتاب جانباَ وتحرك ليمر بجانبها فإختل توازنها لتتحرك فضغطت على قدمها المصابة و كادت ان تسقط و لكن منعها من ذلك إلتفات يوسف بسرعة و أمساكه بها و من ثم اوقفها مجدداَ قائلاَ بجديه:
-انسه سلمى انتي رجلك مصابة ، خليكي فى سريرك لحد ما تتحسنى و تفتكرى كل حاجة عن نفسك.
اطرقت سلمى رأسها في خجل ثم قالت:
-اوك .. ميرسى.
نظر اليها يوسف لوهلة ثم إلتفت و تابع هبوط الدرج بخفة و هى تنظر اليه الى ان ذهب وأغلق الباب خلفه..
نظرت حولها لتجد غرفة بجانب الغرفة التى تمكث بها ، إقتربت منها بتمهل وحاولت فتحها كـ نوع من الفضول و لكن الباب كان مغلقاَ بإحكام ، زفرت بضيق و ضجر ثم نظرت الى الدرج المؤدى الى الطابق السفلي فذمت شفتيها بتعجب ثم قالت بضيق:
-كل دى سلالم.. وانا هنزل كل دا ازاى ؟
تقدمت ببطء نحوه ثم استندت على الحائط و انزلت قدمها المصابة اولاَ ثم انزلت الاخرى وتابعت بهذا النحو الى ان وصلت للطابق السفلي..
نظرت حولها بإعجاب لأثاث هذا الطابق الراقى والثمين ، أثاث يوحى بمكانة صاحبه المرفهه..
نظرت الى الباب ثم اتجهت اليه ليُفتح فجأة وتدلف منه فاطمه تحمل ملابسها ثم قالت ما إن رأت سلمى:
-صباح الخير يا بنتى ، ايه مالك؟
لتجيب سلمى بإبتسامة صافيه:
-كنت لسه هخرج ادور عليكو..
صمتت للحظة و لكن سرعان ما قالت بحماس:
-آه على فكرة انا اسمى سلمى.
ضمت فاطمة حاجبيها ثم رفعتهما و قالت بدهشه:
-ايه دا انتى افتكرتى؟؟
سكنت سلمي للحظات ثم نظرت اليها بحزن و قالت بأسى:
-لأ .. بس الاستاذ يوسف هو اللى شافه على الكتاب اللى كان فى شنطتى.
-ممم الحمد لله يا بنتي.. طيب يا سلمى هدومك اهى غسلتهالك.
ابتسمت سلمى بلطف ثم قالت بإمتنان:
-بجد مش عارفه اقولك ايه ..
ربتت فاطمة على كتفها بحنو ، ثم قالت:
-متقوليش حاجة يا بنتى .. تعالى ارتاحى وانا هحضرلك الفطار.
****

فرك جبينه ثم عاد بظهره الى الخلف و وضع كفيه على وجهه بإرهاق شديد إلى ان سمع صوت طرقات على الباب ليعتدل ثم يقول:
-ادخل..
دلف دياب من الباب حاملاً بعض الملفات فى يده:
-العقيد مش موجود و اتصل و بلغنى امضيك مكانه.. الاوراق مهمه ولازم! ..
قطع جملته عندما نظر الي يوسف ثم ضم حاجبيه بقلق و قال:
-مالك يا يوسف ؟؟
عاد يوسف برأسه الى الخلف ليستند على المقعد ثم اطلق تنهيدة طويلة و قال:
-مفيش يا دياب..
رفع دياب احد حاجبيه ثم قال بتعجب:
-مفيش يا دياب ! ..امال لو فى هتبقى عامل ازاى علي كدا ؟!
نظر يوسف الى الاوراق التي يمسك بها دياب ثم قال بإيجاز:
-هات الورق دا يلا..
ذم دياب شفتيه ثم تقدم و جلس على المقعد امامه ثم وضع الاوراق على المكتب و قال:
-انت محتاج راحه يا جو..
إرتسمت ابتسامة سخرية على جانب ثغره و هو يقول بتهكم:
-راحه ! .. ممم فكره برده.
نظر دياب اليه بصمت و لم يرد مواصلة الحديث لانه يعلم جيداَ نهايته ؛ أي طرده خارج المكتب ، نظر اليه للحظات ثم قال بجدية:
-طيب إسماعيل باشا عايزك كمان يومين كدا..
نظر اليه يوسف بتركيز عندما نطق بذلك الإسم ليقول بإنتباه:
-خير .. فى ايه؟
-تدريب الغلمان .. فى المركز.
ضم يوسف حاجبيه قائلا بتعجب يشوبه الضيق:
-وإزاى دول يدخلوا المركز .. هى فوضة ، دا احنا مبنرحش غير فى انصاص الليالى ، و دول اول تدريب ليهم يبقى فى المركز.
هدأت نبرة صوت دياب عندما قال:
-اهدى بس يا يوسف .. هو اكيد عارف بيعمل ايه.. وبعدين دول هيبقوا تبع المركز بس ملهمش دعوة باللى هنا..
زفر يوسف بضيق فنظر اليه دياب بشك ثم قال متفحصاَ إياه:
-فى ايه يا يوسف مالك ؟! مخبي عني حاجه شكلك.
نظر اليه يوسف للحظات ثم قال بهدوء:
-لأ يا دياب.. مفيش.
-طب انا هجيلك البيت انهارده عشا..
ليقول يوسف مقاطعاَ بسرعه:
-البيت لأ..
رفع دياب حاجبيه بدهشه ثم قال:
-فى ايه يا يوسف؟؟
تنهد يوسف بثقل ثم نظر اليه بأعين تشتهى النوم وبشدة:
-امبارح يا سيدى عم محمد لقى بنت مغمى عليها و...
قص عليه يوسف ما حدث بالتفصيل وما ان انتهى حتى عم الصمت للحظات ثم انفجر دياب ضاحكاَ لينظر اليه يوسف بضيق:
-انا قولت نكت يا دياب ، تصدقك والله ما عندك دم..
توقف دياب عن الضحك ثم إعتدل فى جلسته و هو يقول مانعاَ ضحكه:
-خلاص آسف .. احم بس انا حاسس انه فيلم هندي و محروق كمان..
نظر اليه يوسف ثم عاد بنظره الى الملفات يوقعها ليقول دياب بإهتمام:
-طب انت تعبان ليه؟
فقال يوسف بضيق دون ان يشيح ببصره عن الأوراق:
-منمتش يا دياب امبارح خالص .. كل خمس دقايق اقلق و احس بحركة فى البيت ..
-متقلقش يا يوسف بس خد حذرك.. مش انا اللى هقولك يعنى دا انت عمهم..
-ما انت عارف انى مبرتحش وحد معايا فى البيت .. مابالك بقى دى غريبة وشكلها هطول فى القاعدة.
-مش انت مأمن على حاجاتك اللى هناك.. خلاص فكك من اللى يشكك.

نظر اليه يوسف شزراً ثم قال و هو يشير برأسه نحو الباب:
-اطلع بره.
-اهو شوفت انا عارف ان اخرتها طرد.. عيب عليك دا انا قربت اقرب و ألزق فى العيلة.
نظر اليه يوسف بعدم فهم فأكمل دياب بحذر و هو يستعد للهروب:
-مش هتجوزنى اختك يا جو! ..
انهى كلماته ثم ركض خارجاً من الغرفة تاركاً الباب مفتوحاً و يوسف ينظر امامه بضيق وتعب! ..
****
جلس العم محمد امام سلمى ليحرر ذراعها اليسرى من الرباط الطبى وهى تنظر عبر النافذة على المكان في الخارج لتلتفت اليه فجأة و تقول بشغف:
-عمو محمد هو انا ممكن اخرج و استكشف المكان هنا.
ارتسمت ابتسامه طيبة على شفتيه ثم نظر اليها وقال:
-آه طبعا .. بس لما الجرح اللى فى رجلك يتحسن.
عبس وجهها بضجر ثم التفتت برأسها لـتنظر الى امواج البحر فتتذكر ذلك الكابوس الغريب ، نظر اليها محمد بإبتسامة ثم قال:
-خلاص دراعك اتحسن عقبال رجلك.
لاحظ شرودها ليضم حاجبيه ثم يقول بإهتمام صادق:
-مالك يا بنتى ؟
إنتبهت سلمى لصوته و نظرت اليه قائلة:
-ها .. نعم يا عمو..
-مالك ؟! .. سرحتى فى ايه ؟
تنهدت سلمى بثقل ثم عادت تنظر الى الشاطيء بتمهل و هي تقول:
-ابداً .. مش عارفه امتى هرجع افتكر انا مين.
-مش عرفتى ان اسمك سلمى شوقى ؟!
ذمت سلمى شفتيها ثم قالت بلهجة تهكم و حسره:
-ودا فاد بإيه ؟؟ .. لا انا عارفه بيتى فين و لا عارفه اهلى فين و لا بقيت حياتى.
-إن شاء الله هتعرفى كل حاجة .. ربك ليه حكمه فى اللى حصلك دا ، وبكره هتعرفى ان اللى حصلك دا كان فيه خير ليكى وهتحمدى ربنا عليه.
لحظات و ابتسمت سلمي ثم نظرت اليه و قالت ممازحة:
-طب بكره الساعة كام عشان ببقى مشغولة..
ضحك محمد على مزحتها ثم ربت على كتفها و نهض ليغادر و يذهب الي مشاغله..
إختلف الوضع لديها ، أحست بأن جملتها السابقة مألوفة لها ، أي انها تشعر بتكرارها..
ضمت حاجبيها وهى تحاول التركيز و لكن قطع تفكيرها دلوف يوسف من الباب ، القى عليها نظرة ضيق ثم اتجه الى المطبخ حيث تقف فاطمة تعد الطعام ليقول بجمود:
-لو سمحتى يا ام حسن اعمليلى قهوة سادة وطلعيهالى فوق فى اوضتى.
-حاضر يا بيه..
خرج مجدداً و صعد الدرج و هى تلاحقه بنظراتها إلي ان اختفي ، نظرت مجدداً عبر النافذة لتتابع بأعينها سرب طير فى السماء ، نظرت الى البحر امامها ، بحر صـافى ازرق اللون .. كـ لون اعينه تماما! ..
ضمت حاجبيها بتعجب ، ما الذى تفكر به الان ، نفضت تلك الافكار من رأسها ثم قامت بحذر واتجهت الى المطبخ ثم نظرت الي فاطمه و قالت:
-اساعدك فى حاجة يا طنط فاطمة؟؟
نظرت اليها فاطمة بإبتسامة قائلة:
-لا يا حبيبتى متتعبيش نفسك.
-لا على فكرة ممكن اساعد .
-مممم طب تعالى اعملى سلطة.
-بس كدا .. دى سهلة اوى..
اقتربت منها و امسكت بالسكين ثم بدأت فى تقطيع الخضراوات الموضوعة بجانبها..
سمع كلاهما نداء محمد بإسم فاطمة فنظرت الأخيرة الى سلمى و قالت بحرج:
-معلش يا سلمى عارفه انى هتعبك بس لما القهوة تجهز طلعيها ليوسف بيه فوق الاوضة اللى جنب اوضتك على طول..
-اوك .. حاضر.
-حضرلك الخير يا حبيبتى.. معلش بقى هتعبك بس عمك محمد محتاجنى فى الصيد.
-لا ولا يهمك يا طنط اتفضلى.

خرجت فاطمة من المطبخ وتابعت سلمى ما تفعله..
نظرت خلفها الى القهوة الموضوعة على النار وهى ما تزال تعمل بالسكين فلم تنتبه و جُـرح اصبعها فى الوقت ذاته فارت القهوة و إنطفأت شعلة الغاز..
تركت سلمى السكين بسرعة و أطفأت الشعله تماماً ثم غسلت اصبعها بالماء وحضّـرت فنجاناً للقهوة ثم نظفت المكان خلفها و حملت القهوة وخرجت من المطبخ ببطء حذراً على اصابة قدمها..
****
طرقت الباب مرات عديدة بخفة و لا توجد إجابه ، ذمت شفتيها بتعجب ثم طرقت ثلاث مرات اخيره لتحزم امرها وتدلف هى..
الغرفة مظلمة ما عدا الجزء المجاور لفراشه يضيئه نور خافت ، بحثت بعينيها عن مقبس الكهرباء لترفعه ولكن لـم تجده بسبب ذلك الظلام.. تقدمت ناحية الفراش ببطء وهى تأنب نفسها على الدلوف لتجده مستلقياً على الفراش و نائماً بعمق و ما زال مرتديا بدلته التى جاء بها من عمله ، ظهر الارهاق على ملامح وجهه و بشده ، بدى لها كطفل لم يتجاوز الرابعة بعد ، افاقت مما هى فيه و هي تلعن ذلك التفكير الغريب ثم اقتربت من السرير و قالت بخجل و إستحياء:
-انت .. انت يا استاذ يوسف .. انت اصحى.
تلملم يوسف فى فراشه بإنزعاج ثم استقر مجدداً فى نومه و بدي الإرهاق الشديد عليه ، زفرت سلمى بضيق و ضجر ثم قالت:
-قوم يا استاذ يوسف القهوة اهى.
فتح يوسف عينيه ببطء ليجد أرجلاً انثويه صاحبها يقف بجانب فراشه ، ضم حاجبيه بعدم تركيز ثم رفع بصره ليجدها امامه ، زاد انعقاد حاجبيه اكثر ، ظن انه يحلم ولكن يسمع صوتها ، ضم شفتيه بنفاذ صبر و ضيقه منها لم يعد يحتمل! ..

- فتح عينيه ببطء ليجد أرجلاً أنثويه صاحبها يقف بجانب فراشه ، ضم حاجبيه بعدم تركيز ثم رفع بصره ليجدها امامه ، زاد انعقاد حاجبيه اكثر ، ظن انه يحلم و لكن يسمع صوتها ، ضم شفتيه بنفاذ صبر و ضيقه منها لم يعد يحتمل..

رأته ينهض فجـأة ليقف امامها فتتراجع هى و تنظر اليه بتوجس ليصيح بها قائلاً بغضب :
-انتى ازاى تدخلى هنا ، ازاى تسمحى لنفسك تخرجي من باب الاوضة اللي انتي فيها و تتمشى فى البيت اصلا ؟! ..بتدوري علي ايه عايز اعرف؟؟
إتسعت حدقة عينيها وهى تنظر اليه و بالكاد تراه جراء ضوء الغرفه الخافت ، ترقرقت الدموع فى أعينها ولكن تمالكت نفسها لتقول بحدة محاولة الثبات امامه:
-انا عارفه ان حضرتك مضايق من وجودى ، و عارفه كمان ان دخولى اوضة حضرتك غلط ، عارفه انك مش طايقنى مع انى معملتلكش حاجه وحشة ولا حتى لحقت اعمل حلوة للأسف.. انا آسفه على 24 ساعة اللى قضيتهم فى عكننه بسببى ، بس مش لدرجة انك تتهمنى بكدا .. انا لا اعرفك ولا عمرى شوفتك عشان اكون بدور علي حاجه عايزه اسرقها منك ، و حتى لو كنت شوفتك قبل كدا مش هفتكرك ، عارف ليه ؟؟ ..
اجابت علي سؤالها بحدة و الدموع متحجرة في مقلتيها:
-اصل ذاكرتى اتمسحت للأسف ..
انهت كلماتها الحاده ثم إستدارت قبل ان تهبط دموعها و خرجت من غرفته لتدلف الى الغرفة التى مكثت بها بضع ساعات ثم و بدون تفكير شرعت بجمع ملابسها فى الحقيبة مجدداً و خرجت متحاملة على إصابة قدمها لتسير بشكل شبه منتظم إلي ان عبرت من باب المنزل الى الخارج تماماً..
****
ظل واقفا مكانه للحظات ثم انار الانوار ليجد قهوته قد سكبت على الارض اغمض عينيه للحظات بضيق ثم قام بإغلاق الانوار مجددا و ألقي بجسده بتعب و إرهاق على السرير و ظل يزفر بضيق مطولاً..
****
رفعت كفها لتمسح عبراتها المتساقطة بغزارة ، نظرت حولها بحيرة .. أين تذهب ؟؟ ، المكان كما قيل لها منعزل تماما ، امامه شاطيء و خلفه أشجار ممتددة الى الافق ، ولكن أبداً لن تعود الى منزل ذلك المتعجرف الاحمق ..
سارت بخطوات سريعة متجاهلة صرخات إصابتها المتوسلة لها بالرفق عليها ، إبتعدت نسبياً عن المنزل ودلفت بين الاشجار علها تصل الى الطريق السريع..
نظرت حولها مجدداً و ورائها بخوف ، لم تعد تعرف اين هى الان ، فقط تتوسط مكاناً تملئه الاشجار العالية التى تحجب أشعه الشمس بأوراقها الكبيرة..
لعنت حظها الذى أحضرها الى هنا ، جلست على جزع شجرة ضخمة وخبأت وجهها بكفيها لتجهش فى البكاء المُـر..
شعرت بحركة حولها و بأعين تراقبها ، توقفت عن البكاء تدريجياً عندما شعرت بالخطر و حاولت عدم

إصدار صوت ، قامت من مكانها بخوف و رعب وركضت ، ركضت لا تعلم الي أين و لكن لا بد ان تهرب ..
أحد ما يركض خلفها و بإصـرار غريب ، التفتت لتجده شاباً يشير بيده الـيها و يحاول تحذيرها من شيء ما ، لم يزدها هذا سوى رعباً لتزيد من سرعة ركضها و فجـأه.. ترتطم بشجرة كبيرة أمامها لتسقط أرضاً بقوة فيركض إليها ذلك الشاب وينظر اليها بقلق و هو يقول:
-انتى كويسة ؟
نظرت اليه بتوجس ثم قامت بسرعة و قالت و هي تتراجع:
-عارف انت لو قربتلى بس هـ هعمل فيك إيه ؟
ضحك ذلك الشاب بشدة ثم قال و هو يشير الى يدها المرتعشة:
-طب و ايدك اللى بتترعش دى .. احم ، انا يا ستى اسمى حسن .. و متخافيش انا بس لقيتك بتجرى فكرتك خايفة من حاجة و احنا فى حتة مقطوعة اصلا.
ابتلعت لعابها ثم قالت بحرج و هى تحتضن نفسها:
-آه .. انا سلمى .
-طب بتعملى ايه هنا ؟!
هزت كتفيها بسخرية ثم قالت:
-ولا اعرف.
اومأ حسن برأسه متفهماً ثم قال بجديه:
-فاهمك.. ساعات الواحد مبيعرفش هو بيعمل ايه فى الحته اللى موجود فيها ، بس لما يروح حته تانية .. عارفه بيعمل ايه.
فنظرت اليه سلمى بإهتمام ثم قالت:
-ايه ؟
-مبيعرفش برده هو بيعمل ايه ..
قالها و هو يمنع ضحكه لتنظر اليه سلمى عدم فهم ليبتسم قائلا:
-هو المفروض تضحكى.. بس يلا كله بيعمل كدا معايا.
رفعت سلمى حاجبيها ثم قالت:
-ممم .. طب انا تايهه.
-طب انتى ساكنه فين ؟
-هو انا تايهه ومش فاكرة.. بس كنت المفروض مقيمه عند بنى ادم اسمه يوسف.
ضم حسن حاجبيه قليلاً ثم رفعهما بدهشة قائلا:
-يوسف الشرقاوى ؟!
-آه .. تعرفه ؟!
ظهرت الدهشة علي ملامحه ليتابع بشغف:
-من امتى وانتى عنده ؟ ، وهو وافق ؟؟.. طب على كدا شوفتى محمد وفاطمة.
نظرت اليه بتعجب ثم قالت بتساؤل:
-وانت تعرفهم ؟؟
-اه منا حسن .. ابنهم.
-والله ؟؟ .. آه فعلاً عمو حسن حكالي عنك.
-ضحك عليكى في كل كلمه قالها .. دا انا زي العسل .
-يا راجل ؟؟
قالتها سلمي ضاحكة ليتابع حسن بإبتسامه ممازحاً:
-اومال ؟ .. تعالى معايا انا راجع البيت .. بس يوسف وافق ازاى انك تفضلى عنده بالذات.
ابتسمت بسخرية لتقول بمرارة:
-لا ما هو يعتبر شبه طردنى.
-والله عادى ياما طردنى من بيته .. هو يوسف كدا.
سارت بجانبه ثم قالت بغيظ بعد لحظات:
-مفكر نفسه مين حضرته دا انسان مستفز اوى.
ضحك حسن بخفة ثم قال:
-لا شكلك متعرفيش يوسف!! ..
****
استيقظ على صوت محمد الفزع وهو يقول:
-يوسف يابنى البت سلمى مش فى اوضتها.. ولا فى البيت ولا فى اى حتة.
نظر اليه ثم انتصب جالسا و نظر اليه بإهتمام و هو يضم حاجبيه قائلا:

-مش فى البيت يعنى ايه .. راحت فين؟!
ارتسمت ملامح القلق على وجه محمد و هو يقول:
-معرفش يابنى انا لسه داخل حالا.. طب انت مقلتلهاش حاجة تخليها تمشى.
نظر اليه يوسف و لم يجب ففهم محمد ما حدث و أخذ يعاتبه قائلا:
-طب ليه يابنى دى غلبانه .. من امتى يا يوسف بتسيب حد محتاجلك.. مهما كانت ظروف شغلك بس برده انا مش عاذرك.. دا احنا فى حته مقطوعة هتعمل ايه دلوقتى..
إستلقى مجددا على فراشه ثم قال ببرود:
-مليش دعوة يا عم محمد.. ترجع لمكانها تانى انا مش فاتح بيتي ملجأ .. و كويس انها مشت من غير ما حد يقولها.
ابتسم محمد بسخرية ثم قال بتهكم:
-ايوه اصل انا مش عارفك .. ما انت تلاقيك قلتلها كلمتين سمو بدنها وهى مستحملتش.
زفر يوسف بضيق ثم قال منهياً الحديث:
-عم محمد .. انا تعبان و عايز انام.
-طيب يا يوسف باشا.. انا هخلي حسن ابنى يدور عليها و هتفضل عندى.. دا إن لقيناها فى الغابة اللى احنا عايشين فيها دى! ..
خرج محمد و أغلق الباب خلفه ليزفر يوسف مجدداً بضيق و هو يشعر بألم حاد فى رأسه ..
****
دلف العم محمد من باب بيته ليصدم بسلمى تجلس على الاريكة وتأكل البيتزا مع ابنه و هما يشاهدان التلفاز ليقول بدهشه:
-ايه دا .. سلمى انتى هنا ؟؟
نظرت اليه بإبتسامه ثم قالت:
-ايوه يا عمو..
-ازاى؟؟ .. بس .. يوسف قالى انك..
قاطعه حسن شارحاً الوضع:
-الانسه سلمى يا بابا انا لقيتها بتجرى وسط الشجر فوقفتها وجبتها.. ومستنين حضرتك تيجى.
اقترب منها محمد قائلاً براحـه:
-خضتينى يا بنتى .. خلاص هتفضلى معانا هنا وسيبك من البيت الوحش اللى هناك دا.
ضحك كلاهما على طريقته فشاركهما محمد الضحك ثم قال فجأه:
-هي البيتزا دي بإيه يا ولاد.
نظر حسن الي سلمى لوهلة ثم انفجر الإثنان في الضحك مجدداً ليجلس محمد بجانبهما و يبدأ بتناول البيتزا بنهم! ..
****
لم يستطع العودة الى النوم بعد كابوسه الاخير ، نظر الى الساعة بجانبه ليجدها التاسعة مساءا ، هل يعقل ان تكون كل هذا بالخارج بمفردها ؟ !
انتصب يوسف جالساً علي حافة سريره و هو يستند عليه بذراعيه ثم و بعد لحظات نهض و اتجه الي المرحاض ليفتح صنبور الميـاه و يضع رأسه اسفل المياه البارده ، و ما إن غمرت المياه رأسه حتي أغلق ذلك الصنبور تماماً..
مرت لحظات الى ان رفع رأسه و نظر الى صورته فى المرآة و الى قطرات المياه التى تسير ببطء على وجهه وتستقر اسفل ذقنه ثم تهبط لتصدر صوتاً خافتاً عند إرتطامها بالحوض..
أين ذهبت ؟؟
لماذا تسأل ؟! .. هى لا تهمك بكل الاحوال.
الطقس بارد فى الليل ، الى اين ستلجأ ؟؟
تنهد بإنزعاج ثم خرج من غرفته و هبط السلام ليخرج من المنزل و يلتفت حوله يبحث عنها بعينيه ، فسر اهتمامه بأنه مجرد شفقة بسيطة عليها من ذلك الطقس البارد و الدائم ليلاً ، نظر حوله ثم تحرك و اقترب من الشاطيء ليجوب ببصره فى جميع الأنحاء ..
بحث كثيراً و سار على الرمال بقدميه يبحث عنها بدون فائده..
لا يعقل ان تكون قد ابتعدت عن هنا!!
مر بالقرب من نافذة زجاجة فى بيت العم محمد ليلمحها جالسه ، عاد مجدداً للخلف بتمهل ثم نظر اليها ليراها بوضوح جالسة بجانب العم محمد.. و بالقرب من حسن..
تراجع خطوتين لينظر الى البيت كاملاً بإستحقار و غيظ ثم اقترب من الباب و طرقه بقوة لتمر لحظات و تفتح له سلمى لتقف مصدومة من مجيئه و لكن لم تظهر له الا البرود! ..
صر يوسف علي اسنانه و هو ينظر الي عينيها مباشرة..

وقف الاثنان قبالة بعضهما البعض و طوفان بحر أعينه الزرقاء يريد إغراقها ليقابله لون عينيها الاخضر كـ لون اوراق الشجر العالى فوق شاطيء بحره الواسع! ..

- -فى ايه يابنى ؟! ..اتفضل.

كان هذا صوت العم محمد و هو يدعو يوسف الى الدلوف ، و لكنه ظل واقفاً ينظر الى سلمى التى تقف امامه بحدة ثم قال بحنق:
-انتى فاكره نفسك فى بيتك تخرجى وقت ما تحبى و ترجعى وقت ما تحبى.
ذمت سلمى شفتيها ثم قالت بلا مبالاة:
-لأ دا مش بيتى ، و متقلقش انا مش هرجع..
ثم تابعت بنبرة ذات مغزي:
-يمكن اسرق حاجة عندك ولا حاجة يا حضرة الظابط.
رفع يوسف أحد حاجبيه قائلا بجدية:
-على العموم براحتك ، بس انا مطردتش حد..
ضمت حاجبيها و قالت بإنفعال بسيط:
-و لا انا حد باعتنى اراقبك.
رفع سبابته فى وجهها و هو يقول بغرور:
-حتى لو كنتى مبعوتالى ، مش هتقدرى تخرجى من المكان دا على رجليكى ، او بمعنى اصح.. حيه.
عقدت ذراعيها امام صدرها و نظرت اليه بعناد ثم قالت:
-اعتبر دا تهديد ؟
شعر العم محمد ان الامر لن ينتهى بينهما دون تدخل أحد لذا قال بنبرته الحنونه:
-خلاص يا ولاد حصل خير.. تعالى يا يوسف اعد معانا الليلة.
نظر اليه يوسف ثم القى نظرة على حسن الجالس ينظر اليهم و قال:
-لا تكرم يا عم محمد .. انا هرجع انا .. تصبحوا على خير.
-طيب .. و انت من اهل الخير يابنى.
القى يوسف نظره اخرى على سلمى ثم ذهب فأغلقت الباب خلفه و عادت مجدداً تجلس برفقتهم وتنظر إلي التلفاز بذهن منشغل...
****
أبدل ملابسه بملابس بيتيه مريحة ثم اتجه الى غرفة المكتب و جلس خلف مكتبه الفخم ،
اخرج بعض الاوراق وظل يتفحصها قليلا بأعين حادة..
مر الوقت والجميع الان نيام ، خرج من حجرة المكتب وصعد الدرج متجهاً الى غرفته ، مر اولًا بالغرفة التى مكثت بها ليجد نفسه يتجه تلقائياً ويفتح بابها..
توقف قليلا .. ماذا يفعل هنا ؟؟ ، عاد مجددا و دلف الى غرفته هو و اتجه الى دولاب زجاجى مزخرف برقة وفتحه لينظر لثواني لما فيه ثم اخرج منه مسدسه الانيق و وضعه فى جراب معلق ببنطاله الاسود ثم امسك بسترته وارتداها بخفة ليخفى مسدسه تماماً..
خرج من الغرفة و هبط الدرج برشاقته المعهودة ثم خرج من البيت تماما و اتجه الى سيارته ليلمحها تجلس على الرمال امام الشاطيء فى عتمة الليل..
****
كانت تحاول التركيز فى مكان هاديء و تذكر اي شيء اخر غير اسمها ، وضعت كفيها على رأسها وأغمضت عينيها بقوة ثم تابعت عصر عقلها:
-بتعملى ايه هنا يا آنسة سلمى..
إنتفضت من مكانها و التفتت لتجده حسن ، ابتسمت ابتسامة صغيرة ثم قالت:
-ولا حاجة ، خرجت اشم هوا.
جلس حسن على الرمال ونظر اليها ليجدها تنظر الى البحر بتركيز:
-هو فى حاجه؟
نظرت اليه ثم عادت ببصرها الي البحر و هي تتمتم:
-لا ابدا..
ابتسم حسن ثم قال متفهماً:
-متقلقيش ان شاء الله هتفتكرى..
نظرت إليه بإبتسامة ثم قالت:
-يا رب..
****
نظر يوسف اليهما شزرا ثم استقل سيارته و انـار مصابيحها ثم انطلق..
نظرت سلمى خلفها لتجد سيارته تعبر الطريق الاخر لتلتفت الى حسن و تقول بتعجب:

-هو دا يوسف ؟!
نظر اليها حسن بإبتسامه ثم قال و هو ينظر الي سيارة يوسف:
-ايوه هو .. ليه ايام فى الاسبوع نلقاه خرج فى نص الليل كدا.
نظرت الى السيارة و هى تختفى فى الافق تاركة سحابة غبار خلفها ، عادت لتنظر الى حسن بتمهل ثم قالت لتقطع حبل أفكارها:
-انت بقى خاطب و لا لابس الدبلة دى كدا وكدا.
ضحك حسن بخفة ثم نظر اليها وقال:
-لا يا ستى .. كاتب الكتاب كمان.
-والفرح امتى ؟
-دعواتك بقى .. بس قرب ان شاء الله..
-مممم ان شاء الله.. اسمها ايه؟!
ابتسم بعفوية قائلاً وهو ينظر الى الخاتم الذي يزين اصبعه:
-بسمه .. اسمها بسمه.
نظرت اليـه سلمى بإبتسامة هادئة ثم قالت بتمهل و هي تعيد أنظارها الي الأفق:
-ربنا يسعدكو..
-يا رب .. انتى هتفضلى كدا و لا هتدخلى ولا ايه النظام..
ابتسمت سلمى ثم نهضت و قالت و هي تنفض التراب من ملابسها:
-لا طبعاً هدخل.
****
صف سيارته امام الشركة و إرتجل منها ثم سار نحو البوابة المغلقه ، طرق الباب ثلاث طرقات ليفتح له ويدلف منه بصمت..
سار فى طرقاتها الرخامية اللامعه ثـم اتجه بثبات الى مكتب المدير..
وقفت موظفة الاستقبال بإحترام ثم قالت بإبتسامة خفيفه:
-إسماعيل بيه فى إنتظارك يا...
دلف يوسف دون ان يعيرها اهتمام فرفعت حاجبيها بتعجب و مطت شفتيها بلا إكتراث ثم جلست..
****
وقف يوسف امام ذلك الرجل ذو الملامح القاسية و البشرة الخشنة المتجعدة من كبر سنه ، رفع اسماعيل رأسه لينظر الى امهر تلاميذه و اقربهم اليه ليبتسم قائلا:
-ازيك يا يوسف ؟!
كان يقف مستقيم الظهر و ينظر اليه بشيء من الضيق ثم تمتم محاولاً إخفاء حنقـه:
-اهلا معاليك.
-ايه مالك؟! .. اعد الاول.
جلس يوسف على المقعد امامه ثم تنهد و قال:
-ابدا يا باشا بس كنت عايز استفسر عن حاجة.
-اتفضل يا حضرة الظابط.
-حضرتك بلغت دياب يبلغنى اجهز نفسي لتدريب ناس جداد .. وهنا فى المركز.
-ايوه حصل .. فى ايه بقى ؟!
رفع يوسف حاجبيه ثم قال متعجباً:
-حضرتك مش متخيل كمية المعلومات اللى ممكن ياخدوها من هنا .
عاد بظهره الى الخلف بإسترخاء ثم قال بعد لحظات:
-وهو دا الهدف .. امال انا جبتك ليه.
حرك يوسف رأسه بعدم فهم و هو يقول:
-مش فاهم معاليك..
ثم تابع بجدية بالغه:
-دا هيشكل خطر لو كان حد فيهم نيته مش صافيه ناحيتنا ، انا شايف ان من الافضل انهم يدربوا بطريقة عادية بعيد عن المركز و المعلومات اللى فيه..
حرك العقيد إسماعيل رأسه بسذاجة ثم تقدم بجسده ناحيته و قال بجديه:
-دا قبل ما يكون تدريب ليهم ، دا تدريب ليك انت.
-ازاى حضرتك؟!
قالها يوسف بعدم إقتناع ليتنهد إسماعيل ثم يقول:
-اقولك .. اولاً ، تدريب على الصبر ، يعنى اكيد مش لما حد فيهم يغلط تضربه ، و ثانياً تمارس خبراتك وتمارس دور القيادة .. ثالثا و دا الاهم ازاى توصلهم المعلومات اللى متجبش لينا ضرر وفي نفس الوقت

تفيدهم ، ولو اصفوا بعد كدا نبقى نقول اللى نقوله للباقى..
اعتدل يوسف و حرك رأسه نافياً و هو يقول:
-برده معاليك .. اختبار ليا يبقى بعيد عن معلومات المركز .. دا بيمثل خـ..
قاطعه إسماعيل بحدة قائلاً:
-جرى ايه يا يوسف انت هتعرفنى شغلى ولا ايه؟!
وقف يوسف مجدداً بإحترام قائلا بحنق يحاول إخفائه:
-ابدا معاليك .. بس بوضح وجهة نظرى فإن دا ممكن يشكل خطر على حياة العمال اللى هنا دا اول ،ا ثانيا على حياة معاليك وحياتى انا..
نظر اليـه إسماعيل للحظات ثم قال و هو يستند بمرفقيه علي المكتب:
-ومن امتى بيهمك الموت يا يوسف؟؟
-حضرتك فاهم قصدى كويس ، ان كنت انا اقدر احافظ على لسانى من انى اقول اى معلومات قد تمثل خطر على حياة الشركة دى ، فبقيت العمال اظن ميقدروش .. وانا اظن مش همنعهم من السمع.
أومأ إسماعيل برأسه ثم قال:
-بس انت تقدر يا يوسف .. ودى ثقتى فيك.. التدريب معاده هيتحدد و هقولك عليه فى اقرب وقت..
نظر اليه يوسف و هو يحاول كظم غيظه ليقول وهو يجز على اسنانه:
-شكراً على ثقة معاليك! ..
****
عاد الى المنزل فى الصباح ليجد العم محمد وزوجته يستعدان للذهاب ، اتجه اليهم بعد ان وضع سيارته فى مكانها:
-السلام عليكم.
نظرت اليه سلمى ولم تجب فأجاب العم محمد:
-وعليكم السلام يابنى .. جيت بدرى يعنى.
-عادى الشغل خفيف .. الشغل التقيل لسه هيجى.
-ربنا يعينك..
-رايحين فين كدا ؟!
-هنروح البلد نبيع السمك ونجيب شويه حاجات من هناك.. و بتحايل على سلمى مش راضيه.
نظرت اليه سلمى بإبتسامه ثم قالت بلطف:
-يا عمو والله مش عايزه .. هستناكو هنا.
-طيب براحتك يا بنتى .. يلا سلام عليكم.
-و عليكم السلام.
-مع السلامة.
ذهبوا الى وجهتهم فجلست سلمى على الرمال ، نظر اليها يوسف قليلا ثم جلس هو ايضا لتتفاجأ سلمى به يمد يده لها بعلبة ما! ..

- نظر يوسف اليها قليلًا ثم جلس هو ايضا لتتفاجأ سلمى به يمد يده بعلبة ما ، نظرت اليه بتعجب فقال بجمود :

-دا برشام لتنشيط الذاكرة ، خدى منه هيساعدك تفتكرى.
ظلت صامتة تنظر اليه قليلا ليلقى هو بالعلبة بجانبها علي الرمال ثم ينهض و يلتفت متجهاً الى بيته..
نظرت سلمي الي العلبة ثم امسكت بها و نظرت اليه لتقول بصوت مرتفع ليتمكن من سماعها:
-شكراً..
توقف مكانه للحظة و لم يلتفت بل نظر للجانب للحظات سريعة ثم تابع سيره مجدداً الى ان دلف و أغلق الباب خلفه..
ذمت سلمي شفتيها ثم نظرت الى علبة منشط الذاكرة الذى احضره لها..
****
وقف امام نافذة غرفته يراقبها ، لا تفعل شيئاً ، فقط تجلس على الشاطيء و تنظر الى البحر بشرود و كأنها تحادثه ..
لم يمل من مراقبتها رغم مشاغله ، التفتت هى ونظرت الى بيته لتجده ينظر اليها ، نظرت اليه قليلا ثم نهضت ودلفت الى بيت العم محمد ،
اما هو فحرك نظره و شرد فى الامواج الهادئة التى يدفع بعضها الاخر لتمتدد على الشاطيء وتلتهم الرمـال ثم تعود بهدوء لتأتى بعدهـا أخـرى..
****
مرت الايام و تحسنت قدم سلمى تماماً ، ما زالت مستقرة عند العم محمد و فاطمه اللذان يعاملانها كإبنة لم ينجباها ، و حسن الذى يعاملها كأخت صغري ..

لم تخلو تلك الايـــام من مراقبة يوسف لها من بعيـد ، تعلم انه يراقبها و لكن تتعمد ان تظهر عدم إكتراثها بأمره ..
الساعة السادسة صباحاً ، خرج العم محمد مع زوجته ليذهبا الى الصيد ، اما عن حسن فقد خرج برفقة صديقه " تـامر" الذى جاء اليه بواسطة "لانش" أخر..
ظلت سلمى بمفردها فى البيت تشاهد التلفاز وتمسك بجهاز التحكم بيدها لتقلب بين قنواته بضجر..
سمعت صوت فتح الباب فـإلتفتت لتجده حسن يدلف برفقه تامر:
-ازيك يا سوسو ؟؟
قالها حسن و هو يغلق الباب خلفه ، نظرت اليهم سلمى فلاحظت نظرات تامر الغريبة لها لتقول قبل ان تنهض:
-كويسه ..
دلفت الى الغرفة التى تمكث بها فإتجه حسن الى المطبخ قائلا:
-تامر .. عايزين صيد كتير النهارده.
نظر اليه تامر بإبتسامه ثم قال و هو يحك ذقنه:
-ان شاء الله ، جهز البندقيه انت بس.
-هى فين ؟! .. مش كانت معاك؟
ضم تامر حاجبيه ثم قال مصطنعاً النسيان:
-صدق نسيتها فى اللانش بره.
-طب روح هاتها عما اجهز العدة هنا..
اتجه اليه تامر وامسك بالادوات من يده ثم قال:
-روح انت يا حلو و سيبنى اجهزها انا ، انت فاشل.
نظر اليه حسن ثم لكزه فى كتفه وخرج تاركاً ذلك الشخص مع سلمى فقط..
****
اتجه الى الـ "لانش" و بحث عن البندقيه فلم يجدها ، تذكر انها فى الداخل بجانب حقيبته فإلتفت و كاد ان يعود ولكن قاطعه يوسف بصوته:
-رايح فين يا حسن ؟!
-هحضر البندقيه و اطلع للصيد انا بقى.
-طب استنى عايزك..
****
ترك تامر ادوات الصيد من يده و نظر الى الباب ليتأكد من رحيل حسن ، خرج من المطبخ و اتجه بحذر الى غرفة سلمى..
كان الباب مفتوحاً و لكن ليس بالكامل ؛ فإستطاع الدلوف بهدوء ، وقفت سلمى تعطيه ظهرها و تعتنى بالزهور الموضوعة بالمزهرية ، لم تشعر به و هو يقف امام بابها و ينظر اليها نظرات ذات مغزى..
نظرت الى الزهور بإبتسامه ثم التفتت لتشهق من الصدمة عندما رأته يقف خلفها تماماً ، تراجعت بقلق لتقول بنبرة مرتعشة:
-فى حاجة يا استاذ ؟؟
إرتسمت ابتسامة شيطانية على ثغره و هو ينظر اليها متفحصاً لها ثم مد يده ليمسك بذراعها و يجذبها نحوه و لكن جذبته بقوة ثم دفعته عنها و قد تأكدت من نواياه..
لم يبتعد كثيراً فدفعتها له لم تؤثر عليه ، اقترب منها مجدداً فحاولت الركض من امامه و هي تقول:
-انت عايز ايه ، انت عارف لو قربت منى هعمل فيك ايه.
لم يهتم لتهديدها إنما وقف مقابلها و أغلق باب الغرفة ليمنعها من الفرار..
تملك الخوف منها فتراجعت ثم و فجأة وجدها تحمل المزهرية بين يديها المرتعشة ، نظر اليها ثم قهقه بملىء صوته و قال:
-سيبى بس البتاعه دى من ايدك مبياكلش معانا الكلام دا..
تراجعت سلمى بخوف ثم قالت بتحذير:
-لو قربت هكـ..هكسرها فوق دماغك أنـ نت فاهم .. حسن فين عملت فيه ايه ؟؟
ليجيب بخبث و هو يتفحصها بعينيه:
-سيبك من حسن دلوقتى ..
تابع اقترابه منها ببطء فلم تتحمل رعبها لتصرخ بكل صوتها..
أسرع اليها و جذب المزهرية من يدها ثم القاها هى ارضاً و حاول إكمال مبتغاه..
نظرت اليه وهى تحاول إبعاده عنها و دموعها تتكون فى عينيها ، لم تكف عن الصراخ ، رفعت قدمها لتسدد اليه ضربه قوية فى معدته فيبتعد عنها بألم لتسرع هى بإمساك المزهرية و همت لتضربه فوق رأسه بدون تفكير ، ولكن كان هو الاسرع بدفعها بعيداً لتسقط ارضاً فتتحطم المزهرية و يجرح كف يدها بعد ان

دلفت قطعة من المزهرية بداخله..
****
سمع يوسف وحسن صوت صراخ سلمى فصمت يوسف قليلا ثم هتف فجأة:
-مش دى سلمى؟؟
ضم حسن حاجبيه ثم هتف بفزع:
-تامر جوا وآآ..
كان ذلك كافياً ليجعل يوسف يركض ناحية المنزل وخلفه حسن ..
دلف من الباب و ركض بإتجاه مصدر الصراخ ليجد الباب مغلقاً ، تراجع قليلا ثم ركض ناحيته و دفعه بثقل جسده لينكسر الباب ويدلف ليجد ذلك الوغد يحاول الاعتداء عليها..
أشتعلت النيران فى عينيه ليهجم عليه و يبعده عنها ثم يندفع بجسده فوقه ليكيل له باللكمات القوية الغاضبه..
اتجه حسن الى سلمى التى وقفت فى ركن ترتجف و هى تكور قبضة يدها بقوة وكفها يزرف الدماء ، نظر الى صديقه الحقير ثم حاول ابعاد يوسف عنه و الذي كان يضرب بوحشية غريبه ، و لكن لم ينل سوى بعض اللكمات هو الاخر..
فقد تامر وعيه بعد ان غرق وجهه بالدماء فتوقف يوسف و هو يلهث و صدره يعلو و يهبط بشكل سريع ثم التفت الى سلمى و النيران تتطاير من عينيه و نظر اليها بغضب..
إرتعدت سلمى من نظراته و نظرت اليه بتوجس فأشاح يوسف بوجهه عنها ثم أخرج هاتفه ليتصل بدياب الذى اجاب:
-الو..
قال يوسف بصوت خشن غاضب:
-تعالى يا دياب عندى البيت .. مفيش هتاخد واحد يشرف عندنا فى القسم .. متتأخرش.
اعاد هاتفه ثم نظر الى حسن الذى ينظر لصديقه بحزن و صدمة ليقول بصوته الغاضب و نفسه اللاهث:
-آخر مرة .. اشوفك جايب حد معاك هنا.. انت فاهم؟؟
لم ينتظر منه رداً ، بل التفت مجدداً الى سلمى التى انتفضت عندما وجدته يقترب منها ثم يقبض على ذراعها ويجذبها بقسوة خلفه..
****
أغلق الباب خلفه ثم تقدم ناحيتها و هى تنظر اليه بتوجس ليقول بحده:
-ممكن اعرف ايه اللى حصل هناك؟
ابتلعت لعابها بخوف و ما زالت تكور قبضة يدها بقوة فلاحظ يوسف الدماء المتساقطة من يدها ليقترب منها و بجذب يدها فجأه:
-ايه اللى عمل فيكى كدا ؟؟
نظرت اليه بخوف ثم قالت بعد لحظات بتلعثم:
-الـ.. الفاظة اتكـ.اتكسرت وو.. و عورتنى.
-ايه اللى خلاكى تعدى انتى و هو لوحدكم.
حاولت منع دموعها لتقول بصوت شبه باكى:
-والله ما كنت اعرف ان حسن خرج ، انا كنت فى الاوضة و مرة واحدة لقيته قدامى..
قالتها بخوف رغم خجلها لينظر اليها يوسف للحظات ثم يذهب و يعود مرة اخرى حاملاً علبه الاسعافات الاولية ، امسك بكفها مجدداً وقال بلهجه آمره:
-افتحى ايدك.
كانت أعصابها مشدودة او بمعني أوضع مصدومة من المجسم المفاجيء الذي إخترق كفها ، فلم تستطع فتحها وما زالت الدماء تنزف منها ، شعر يوسف بما تعانيه ليمسك بكفها بين راحتى يديه و يحاول تحريك اصابعها بأصابعه و هو يقول بنبرة هادئة نسبياً:
-اهدى عشان تتفتح..
مرت لحظات الى ان استطاع فتح كفها المرتعش ليجد قطعه من المزهرية داخل جرح كفها ، ثبّت كفها جيداً ثم اخرج القطعة المكسوره بحذر لتتألم سلمى بشدة و تحاول سحب كفها من الألم ليقول:
-اهدى خلاص هترتاحى دلوقتى.
اكمل عمله ليمسح الدماء الموجودة على كفها بقطعة من القطن ثم تابع إسعاف جرحها البسيط..
إنتهى من إسعافها ليرفع رأسه فيجدها تنظر اليه وما تزال دموعها تتلألأ فى عينيها الخضراء..
مرت لحظات صمت بطيئة الى ان قطعه صوت رنين هاتفه فتحرك و أخرجه ليجده دياب يعلمه بأنه يقف امام بيته..
نظر يوسف الى سلمى مجدداً ليجدها ما تزال تنظر اليه ، متعجبة من تغيره ولو كان بسيطاً ، ابتلع لعابه ثم التفت مجدداً و خرج ليقابل دياب الذى ارتسمت تعابير القلق على وجهه:

-ايه اللى حصل يا يوسف خير.
عادت نبرة صوته الحانقة:
-تعالى معايا نجيبه ونوديه القسم و انا اللى هكتب المحضر..
-محضر ايه فهمنى ؟!
-مش وقته يا دياب تعالى يلا..
دلفا معاً الى البيت ليجدا حسن ملقي على الارض ولا أثر لذلك الحقير المدعو بتامر..

- دلفا الى البيت ليجدا حسن ملقى على الارض و لا أثر لذلك الحقير المدعو بتامر..

نظر دياب الي يوسف بصدمة ثم جثى على ركبته ليرفع رأس حسن عن الارض ثم قال بقلق و هو يحرك رأسه ويحاول إفاقته:
-انت عملت ايه فى الواد يا يوسف؟؟ .. دا مبينطقش.
نظر دياب خلفه و لكن لم يجد يوسف ، فضم حاجبيه بدهشة و هو يتمتم بحنق:
-عيلة غريبة!
****
أشعلت النيران بصدره مجدداً ، ظل ينظر بعينيه متفحصاً للمكان حوله بكثب ، لا يمكن ان يكون قد ابتعد فوسيلة الهروب الوحيدة من هنا إما بالسيارة او بالـ " لانش" و لا شيء مفقود منهما..
شعر يوسف بيد توضع على كتفه فإلتفت ليجده دياب ينظر اليه بتشكك و هو يقول:
-مالك يا يوسف فهمنى ، انت جبتنى هنا ليه وحسن ماله و مين اللى عمل فيه كدا ، و مين اللى انت عايزنى اقبض عليه ؟.. حسن ؟!
لم يجب يوسف و ظل ينظر اليه بصمت قاتل الى ان هتف دياب بضيق و ضجر:
-فى ايه يا يوسف ؟؟
تنهد يوسف بثقل شديد و كأنه يعبر عن مدى ضيقه و غضبه الخفي ثم قال و عيناه تشعان غضباً:
-واحد كان عايز يسرق البيت بس باين هـ! ..
قطع كلامه فجأة بتعجب ، ماذا يقول ليس هذا ما حدث!
ضم دياب حاجبيه بتعجب ثم قال:
-باين ايه .. ماله؟
نظر اليه يوسف بشرود ثم نطق بتكاسل و كأنه يفكر فى أمر ما:
-باينه هرب..
-خلاص فى داهيه .. المهم هو اخد حاجة؟
حرك يوسف رأسه بالنفى ثم شرد مجدداً فذم دياب شفتيه ثم قال بتعجب:
-من امتى و انت كدا.. شكل الموضوع كبير ، انت مخبى ايه ؟!
نظر اليه يوسف شزرا ثم قال بإيجاز:
-شكراً انك جيت يا دياب ، تقدر تروح لو عايز.
-لالا عادى ، هبات معاك مفيش مشاكل.
ليقول يوسف بجدية:
-نعم .. تبات فين؟
نطق دياب بنبرة بطيئة وهو يشير اليه ثم الى بيته:
-مــعاك و فــى بيتــك.
-طب يلا يا دياب مينفعش.
قالها يوسف بإنزعاج فعلم دياب سبب رفضه و لكنه اصر على إستفزازه اكثر فقال بإبتسامه جانبيه خبيثة:
-لـــيه ، ليه يا جو دا انا حتى .. حبيبك.
قال كلمته الاخيرة ثم غمز له بعينه فنظر اليه يوسف بجدية قائلا:
-انا قلت كلمة و خلاص .
-يا جو دا انا اخوك ، و بعدين شوف الجو غيم و شكلها هتمطر طب انا راضى زمتك ، يرضيك.. يرضيك ديبو حبيبك يتبل و يمشى فى الشارع مبلول..
-دياب .. مش عايز هبل انت ناسى انها عندى لسه ؟!
ضم حاجبيه مصطنعاً عدم الفهم ثم قال بإهتمام خبيث:
-مين دى يا جو .. مين؟
-انت عارف يا دياب .. سلمى لسه عندى و مينفعش.
اتسعت ابتسامته ــعندما اجبره على الافصاح بالسبب الحقيقي لرفضهــثم قال:
-إش إش إش .. وعلى رأى المثل .. من لقى احبابه نسى اصحابه.
نظر اليه يوسف و ضيق حدقة عينيه لتصبح أكثر حدة ثم قال:

-قصدك ايه؟؟
لاحظ دياب نظرته فقال محاولاً تهدأته:
-جو مش هعمل حاجة و الله دا انا كيوت جداً و حبوب خالص و مبعضش حتى.. يلا بقى هو انا بشحت.
ابتسم يوسف بسخرية ثن قال بتهكم:
-اسأل نفسك..
-بليز ارجوك بليز بليز بليز ارجوك.
فقال يوسف و هو يجز على اسنانه:
-ادخل يا دياب ادخل.
اسرع دياب بالدلوف الى بيته و هو خلفه و علامات الضيق مرسومة بدقة على وجهه..
دلف دياب من الباب و نظر الى سلمى الجالسة بشرود على المقعد ليطلق صفيراً عاليا فتنتبه و تنظر اليه لتنتفض بخوف و تتراجع و هي تقول:
-آآآ انت مين.
-ها .. اناآآ.. انا دياب .. انتى اللى مين..
دلف يوسف من الباب ليجدها خائفة فينظر الى دياب ليجده هائماً بها ، اقترب منه و جذبه من ذراعه قائلا بضيق:
-منور يا دياب.. تعالى بقى عايزك فى المكتب.
ظل دياب مسلطاً نظره على سلمى:
-ها .. بتقول حاجة يا جو.. قول انا سامعك.
نظر اليه يوسف بضيق ثم أمسك بوجهه ليديره اليه بقوة فتألم دياب قائلا:
-آآآه .. رقبتى يا يوسف.
-ورايا على اوضة المكتب.
-حاضر يا عم..
دلف يوسف الي حجرة المكتب فتبعه دياب و هو يفرك ذقنه بألم من قبضته ، ثم أغلق الباب خلفهما..
نظرت سلمى الى كف يدها المجروح و مررت اصابعها ببطء عليه ، ما تزال تشعر بقبضته حوله ، تذكرت ما كاد ليحدث لها فإرتجف جسدها و أغمضت أعينها و كأنها تطرد صورة ذلك المعتوه من مخيلتها ..
قامت وخرجت من الباب لتهبط السلالم الخشبيه المتينة الى ان لامست قدمها الرمال ثم تقدمت قليلاً الى ان توقفت أمام البحر و هي تحيط جسدها بذراعيها و الهواء يداعب خصلات شعرها ، و ظلت تتطلع الى الافق بصمت..
****
جلس خلف مكتبه ثم نظر الى صديقه الجالس امامه بإبتسامه غريبة و قال بإنزعاج:
-ايه فى ايه يا دياب.
رفع حاجبيه ببراءة و هو يقول بخفوت:
-ها .. مفيش.
-طيب اولاً كدا انت تاخد حاجاتك و تمشي.
ضم دياب حاجبيه بضيق ثم قال بضجر:
-ايه يا يوسف .. تانى.
-ايوه تانى ، كون انك تفضل هنا باللى انا شوفته دا .. دا مستحيل.
غمز دياب بعينه بمرح قائلا بسعادة:
-ايوه بقى .. البحر رمالك سمك ..و دا مش اى سمك وحياتك..
ضم يوسف حاجبيه و قال بجديه:
-دياب ..انا مبهزرش ، انا كدا كدا بروح بالليل المركز .. يعنى البيت بيبقى فاضى.
-ايه يا جو انت بتغير ولا ايه ؟!
عاد يوسف بظهره للخلف قائلا بضيق مبالغ:
-إسمع يا دياب انا مش عايز لعب ، بلا حب بلا هم انا مش فاضى للهيافات دى وانت عارف كويس ايه السبب..
-اهدى اهدى .. و انا قلت انك بتحبها؟
نظر اليه يوسف بحنق ، فهو يعلم ألاعيبه تلك ،
قام من مكانه و اتجه الى النافذة ثم استند بكتفه وظل ينظر الى الشاطيء الى ان رآها امامه ، مال برأسه للأمام ليقترب من زجاج النافذة ، و ظل يراقب سكونها ، لم يغمض له جفن ، كان كالفهد الذى يراقب الغزالة مترقباً الموعد المناسب للهجوم عليها و اطعام نفسه! ..
تقدم دياب نحوه و وقف خلفه ليرى ما ينظر اليه ليبتسم ثم يهمس بهدوء:

-ربنا يسعدكوا ويحنن قلبك .. وبالمرة تجوزني اختك بقى.
التفت يوسف الى صديقه و قد ارتسمت علامات جادة على وجهه و هو يقول بحده:
-دياب.. شيل كل الافكار دى من دماغك ، انا يوم ما افكر اتجوز و إن فكرت اصلا هتكون واحدة من بلدى عارفها ومتأكد منها ، إنما دى الله اعلم تبقى مين .. واحدة البحر رماها عليا ، لازم استحمل.
-مممم طب بص .. فكرة ان فى شعلة حب نورت قلبك ، و قلنا انها مستحيلة .. انما بقى فكرة جوازى من اخت معاليك اشيلها من دماغى ليه ان شاء الله .. انت و عنك ما حبيتها لا هى ولا غيرها يا عم انت حر ، انا مالى .. بس اختك بإذن الله هتبقى مراتى و أم عيالى ، عايز ترفدنى من الشغل براحتك قول للحج إسماعيل يا عم بناقصها شغلانه ، الشغل كتير .. لكن الحب نادر و انا بحب اختك يا يوسف ..عندك مانع.
همهم يوسف بسخرية ثم اقترب منه و امسك بياقه قميصه بهدوء ثم قال و هو ينظر الى عينيه بأعين حادة و يجذب ياقته:
-اولاً.. اسمه إسماعيل باشا .. ثانيا .. بالنظام اللى انا شوفتك بيه دا مش هتتجوزها ، و آه عندى مانع..مدام عينك زايغة يبقى مأمنش لاختى معاك .. ثالثا انا يا عم حر .. انا هفضل عايش فى حياة العذوبية.
أوقف دياب سمعه فقط عنظ جملة يوسف:
"مدام عينك زايغة يبقى مأمنش لاختى معاك"
بعدها لم يسمع أي شيء ، هل هذا حقا ظنه بــه؟؟
ظل يحدق به بأعين لامعه و تابعه و هو يعود الى مقعده و يجلس مجدداً خلف مكتبه..
مرت لحظات الى ان نطق دياب بخيبة امل و حزن:
-يعنى انت شايفنى كدا يا يوسف .. شايفنى مش راجل ؟ انا يمكن بعاكس يمكن بهزر ، بس مش لدرجة مريم .. انا ماشى ممكن سهل فى تعاملى شوية و مش صعب زيك .. بس مش لدرجة اختك .. انا لو كنت عايز اتسلى و ابقي زباله و سافل كان هيبقى من وراك و متقوليش انى مش هقدر ، لو كنت عايز العب شوية مكنتش هجيلك واقولك يا يوسف انا بحب مريم اختك و من زمان ..وبعد ما هزقتنى برده مرجعتش و قبت خلاص كفاية عليا كدا .. متأمنهاش معايا .. يا عم ماشى قول انى مش بتعامل بحدود اوى ، بس عمرى ما عملت حاجة حرام .. عندك شك في دى ؟!.. انا اكتر حاجة كنت صادق فيها انى بحب مريم يا يوسف .. انا مش زيك بخبى مشاعرى ، وانا متأكد انك بدأت ولو بسيط حتى ..
صمت للحظات ثم تابع بنظرات شاحبه:
-بدأت تتغير .. و متقولش عشانك او عشان اهلك او شغلك .. التغير دا هيبقى عشانها.. و اختك هتجوزها يا يوسف .. برضاك او غصب عنك هتجوزها..
ثم استدار و خرج من الغرفة صافعاً الباب خلفه تاركاً يوسف ينظر بتمهل الي سطح المكور ثم يشرد بما قال..
****
آتى المساء ليأمر الليل ظلماته بالخروج بهيبة و وقار لتترك المجال للنجوم اللامعة فتنتشر ما إن تحصل علي إذن و تتبعثر فى السماء البنفسجيــه..
علم محمد و فاطمة بأمر اللــص الذى دلف الى بيتهما كما اخبرهما يوسف عندما سألا عن سبب إصابة حسن و إنكســار الباب ، كذبة قالها للجميع وحاول هو تصديقها ..
****
وقفت فى منتصف الغرفة تفرك يدها بتوتر و تردد ، لا تعرف أتذهب وتشكره ام تتناسى الامر و تحمد الله على نجاتها من شر كاد ان يمسها..
ظلت تسير ذهابا و إيابا و هي تضرب كفيها ببعضهما في رفق ، تفكر ماذا تفعل ..
حسمت أمرها و خرجت من الغرفة ثم نظرت الى غرفته..
أخذت نفساً عميقاً ثم اتجهت نحوها و طرقت البـاب..
كان يجلس خلف المكتب الموجود بغرفته ، سمع طرقات على بابه ليضم حاجبيه بتعجب فـلا يوجد غيرهما فى المنزل ، أيعقل ان تكون هى؟!
لم يفكر كثيراً بل نهض و اتجه الى الباب ثم فتحه ليجدها امامه بملامح وجه متوتره:
-أحم ، آسفه على الازعاج .. بس كنت يعنى.. كنت جايه اشكرك على اللى عملته معايا..
قالتها سلمى بإرتباك ليصمت يوسف للحظات و هو ينظر اليها ثم قال بصوته الرخيم:
-وانا عملت ايه ؟
نظرت اليه بتعجب ثم قالت بعد لحظات:
-انهارده الصبح يعنى و..
صمتت لا تدرى ما المفترض لـتقوله ، توردت وجنتها و أطرقت رأسها بخجل لتسمعه يقول بسخرية:
-آه آه .. قصدك موضوع اللى اسمه تامر دا.. ليه و انتى متعرفهوش.
رفعت رأسها مجدداً لتنظر اليه بتعجب ممزوج بالدهشة العارمة:

-وانا هعرفه ازاى ؟؟
وضع يوسف كفيه فى جيبه ثم مط شفتيه و قال بنبرة بارده:
-انتى هتسألينى؟! ، اسألى نفسك .. مش يمكن يكون زميلك فى الشغل و انتوا الاتنين بتلعبوا عليا.. او مثلاً صاحبك .. حبيبك ، عشيقك..
ثم تابع قائلا بتكلف:
-كدا يعنى.
تملكت الصدمة منها ، ماذا يقول ؟ .. لقد إتهمها الان بلا وجه حق .. رماها بذنب ثقيل و استمتع هو بالسخرية ..
لم تشعر بنفسها إلا و هى ترفع يدها ثم و بكل قوتها تصفعه على وجهه..

- لم تشعر بنفسها الا و هى ترفع يدها ثم و بكل قوتها تصفعه على وجهه..
لنقل ان كلاً منهما صُدم ، نظر اليها و احمر وجهه غضباً .. لم يؤلمه كفها الصغير ، و لكن يكفى انها تجرأت و فعلت..
ترقرقت الدموع فى عينيها لتركض من امامه و تدلف الى الغرفة ثم تغلق الباب خلفها ،
استندت بظهرها على الباب و أطلقت العنان لدموعها لتهبط بإستسلام..
إنتفض جسدها عندما سمعته يصفع باب المنزل ، إذن فهو خرج ..المنزل فارغ الان ..
اتجهت الى النافذة لتشاهده و هو يصعد سيارته وينطلق بسرعه! ...
تراجعت ببطء و جلست على حافة السرير تبكى ،
شعرت بالخوف .. الان المنزل فارغ لا يوجد احد غيرها لحماية نفسها ، ابتسمت بتهكم من بين دموعها عندما باغتتها تلك الفكره ؛ أتعتمد عليه في حمايتها؟! ، و لكن ماذا لو عاد ذلك المدعو بتامر ؟ ماذا ستفعل لو تهجم عليها معتوه غيره ؟؟
ماذا و ماذا و افكار سوداء تترنح فى مخيلتها الى ان تملك منها الخوف بالكامل لتتوقف عن البكاء تدريجياً و تنظر حولها و شهقاتها الطفولية المتتالية ما تزال تباغتها ..
نهضت و خرجت من الغرفة لتهبط الدرج بسرعة وهى تنظر خلفها بقلق ، اقتربت من الباب و امسكت بقبضته و ظلت ساكنة للحظات ، ماذا تفعل كيف ستخرج فى ذلك الوقت المتأخر ؟!
من الافضل ان تبقى و لا تزعج العم محمد الان..
احتضنت جسدها بذراعيها و اقتربت من الاريكة لتجلس عليها ثم ترفع أرجلها وتضمهما الى صدرها منتظرة عودته و الاعتذار منه..
سكنت للحظات ، لا ابدا لن تعتذر بل و ستتمادى فى افعالها اكثر! ..
"********
وصل اخيراً بعد ساعات من الركض بين الاشجار ، لحسن حظه يعلم تلك المنطقة جيداً فلم يضل طريقه..
دلف من بوابة الفيلاً بعد ان دفع لسائق التاكسى و اتجه بخطوات بطيئه متعبه الى الداخل ، دلف الى غرفته ثم الى المرحاض و نزع ملابسه المتسخه عنه بضيق ثم القاها بإهمال على الارض و وقف أسفل المياه المتدفقه بغزارة لتغمر رأسه و تزيل الاثار المتبقيه لدماءه..
ظل يزفر كثير و هو يفرك فروة رأسه لتعبر المياه بين خصلات شعره علها تمحى ما حدث وتخفيه..
خرج من المرحاض بعد ان أتم حمامه الساخن ثم القى بجسده على السرير بإرهاق و ما هى الا لحظات حتى دلف عليه احدهم قائلا بإنزعاج:
-كنت فين يا بيه من الصبح.
زفر تامر مطولاً ثم هتف بحنق قائلا:
-انا مش فايقلك يا خالد سبنى فى حالى.
ذم خالد شفتيه بسخرية ثم قال بتهكم:
-ليه ؟! معرفتش تسهر حلو انهارده..
-لا انت اللى بتعرف اوى.
-كنت فين و بصلى و انا بكلمك..
التفت تامر و نظر اليه بنفاذ صبر لتتسع حدقة اعين خالد و يمسك بوجه اخيه قائلا:
-ايه اللى عمل فيك كدا ، مين انطق ؟؟
-آه ..طب براحه طيب..مفيش خناقه بسيطة.
نظر اليه خالد بتشكك ليقول تامر مغيراً مجرى الحديث:
-انا عايز انااااام..
التفت مجدداً و ألقي برأسه علي الوسادة ثم أغمض عينيه لينظر اليه خالد قليلاً ثم يغادر الغرفة مغلقاً الباب خلفه..
فتح تامر عينيه مجدداً ثم تحسس بأنامله الجروح الموجودة فى وجهه ليزفر بضيق ثم يتمتم بحنق:
-ربنا ياخدك! ..

****
ضربت الامواج الشاطيء بعنف و بدأت الامطار بالهبوط ، ليلة عاصفة اخرى..
صف يوسف سيارته امام المنزل بعد أن تجاوزت الساعة الثانية صباحاً ، دلف بهدوء من الباب و اتجه الى السلالم ليلمح احداً نائماً على الاريكة ، التفت ليجدها سلمى تحتضن نفسها و نائمة فى وضعية الجنين في رحم امه ، ذم شفتيه بضيق والقى عليها نظرات نارية ثم التفت و تابع صعود الدرج! ..
****
إشتدت العاصفة و دوى صوت الرعد و أنار البرق السماء..
استلقى على فراشه و دثر جسده بالغطاء جيدا ، ليلة بارده و عاصفة أتت لتنقى الهواء بأمطارها..
لم يستطع النوم ، هو مدثر جيدا بالغطاء و باب غرفته مغلق و النوافذ محكمة الاغلاق ، و رغم كل هذا يشعر نوعاً ما بالبروده، فما حالها فى الخارج نائمة على الاريكة الخشنة فى مكان مفتوح و بلا غطاء!
زفر بضيق فهو لم ينس فعلتها بعد ، أزاح الغطاء بعيداً عن جسده ثم نهض و خرج من غرفته متمتماً بحنق بكلمات غير مفهومه..
هبط الدرج و هو يفرك يديه ببعضهما الى ان وقف امامها..
قطب حاجبيه متعجباً ، ما الذى دفعها للنوم هنا ، أتريد إغضابه أكثر أم ماذا ؟ !
تأملها قليلا وظل ينظر متفحصاً لها ، شعرها الكستنائى المبعثر على وجهها ، و أهدابها الطويلة الكثيفه و أنفها الدقيق و... ماذا يفعل ؟؟ أغمض عينيه ليشتت أفكاره ثم فتحهما و أقترب منها ليقول بصرامة:
-آنسه سلمى .. سلمى .. يا آنسه.
لم تتحرك حتى ظلت علـى وضعيتـها نائمـة بعمق! ..
زفر يوسف بضيق و حك أسفل رأسه و هو يذم شفتيه بحيرة ، أيتركها أم ماذا ؟!
التفت و كاد أن يعود ادراجه إلا انه سمع صوت سعالها فنظر اليها ليجدها ترتجف و تزيد من تكورها لتدفيء جسدها ، نظر امامه بضيق و هو يزفر في الهواء ثم التفت مجدداً و اقترب منها ، توقف لا يدرى كيف يحملها وهى بذلك الوضع..
و بعد محاولات في تحريكها برفق ، أخيرا استطاع حملها بين ذراعيه بخفة ثم التفت وصعد بها الـدرج..
وصل الى غرفتها و دلف من الباب متجهاً الى سريرها ثم وضعها عليه بهدوء و هو ينظر الى ملامحها الهادئه ، كاد ان ينهض و لكن لامست أصابعه كف يدها ليقطب حاجبيه بتعجب ، جسدها شديد البروده..
خرج من الغرفة ثم عاد بعد لحظات يحمل غطاء ثقيلاً ليدثرها به جيداً ثم يقف بقربها و ينظر اليها بصمت ، وضع يديه فى جيبه و هو يتأمل ضعفها و إستكانتها و إستسلامها للنوم العميق..
إرتسمت إبتسامة صغيرة على جانب ثغره وإستند بكتفه الى الحائط و هو يسلط نظره عليها ، لا يعرف ما المسلى فى مراقبة نومها و لكن الامر ممتع ، هى الان أشبه بالقطة الصغيرة النائمة بإستسلام ، ولكن عندما تكون مستيقظة امامه تظهر أظافرها الحادة و أنيابها المؤذية..
تذكر صفعها له ليعود الحنق الى وجهه و يعتدل واقفاً ثـم يلقى عليها نظرة اخيرة قبل ان يخرج مغلقا الباب خلفه! ..
****
سحب الليل ظلماته و أمر نجومه الـلامعة بالاختفاء مع سطوع قرص الشمس و إنتشار آشعته الذهبية..
أستيقظت من نومها وهى تشعر بالاعياء الشديد ، بالإضافة الي ألم رأسها المزعج..
مهلا ! .. سرير واسع و مريح و دافيء ، اين الاريكة الباردة الخشنة ؟! .. إنتصبت نصف جالسة لتخور قواها و تستلقى مجدداً بتعب .. شعرت بألم فى حلقها و بسخونة تخرج من وجهها ، حاولت النهوض مجدداً و أزاحت الغطاء من عليها لتمسك برأسها لشعورها بالدوار الجامح! ..
خرجت من الغرفة و هبطت الدرج لتجد يوسف جالساً على مائدة الطعام يتناول فطوره و يرتدى ملابس بيتيه و كأنه لن يذهب الى العمل..
نظر اليها بطرف عينيه ثم تابع تناول طعامه بلا إكتراث بها..
أرادت ان تسأله عن سبب وجودها فى الفراش ولكن فضلت الصمت ، كادت ان تخرج من الباب لتسمعه يقول بحدة:
-فطارك هنا .. الاكل بعد كدا هنا مش هناك.
توقفت قليلاً ثم التفتت اليه لتجد ملامحه باردة و لا ينظر اليها حتى..
ابتلعت لعابها ثم اقتربت و جلست على المقعد المقابل لمقعده و نظرت اليه بحرج ، مرت لحظات بطيئة الى ان قال يوسف بحدة:
-اتفضلى كلى.. و بعد كدا متبقيش تنامى بره الاوضة اللى انتى فيها .. انتى مش فى البيت لوحدك..
ابتلعت لعابها بتوتر ثم قالت بصوت يكسوه الاعياء:
-سورى .. انا كنت صاحيه على فكرة يعنى مش قاصدة انام بره الاوضه.
لم يجب فصمتت للحظات ثم فكرت قليلاً أتعتذر ام لا .. حسمت امرها بعدم الاعتذار فهو المخطيء من البداية .. هو من عليه الاعتذار! ..

بدأت فى تناول طعامها بهدوء و هى تشعر بإحتقان شديد ؛ مرضت بسبب نومها في العراء فى ذلك الطقس المضطرب..
نظر اليها يوسف خلسة ليجدها تمسك رأسها و تغمض عينيها بتعب و إرهاق ، عاد ينظر الى طعامه و حاول عدم التفكير بها الى ان وجدها تنهض فجأة و تركض ناحية المرحاض لتخرج ما فى معدتها ، قطب حاجبيه بتعجب و انتظرها حتى خرجت و هى تمسك معدتها بألم..
نظرت اليه و رؤيتها مشوشة لتغمض عينيها و تنظر اليه مجدداً و هى ترفع سبابتها و تشير اليه قائلة بعدم وعى:
-انت اتنين؟؟.. أقف متتحركش انا شايفاك اتنين..هههههه انا ناقصة واحد لما يجيلى اتنين.
ذم يوسف شفتيه بملل ثم نهض و اقترب منها ثم رفع كفه ليضعه فوق جبينها يتحسس حرارتها و ملامحه ماتزال حادة..
سرت قشعريرة فى جسدها بأكمله عندما لمس جبينها و رفعت بصرها لعينيه فشعر بها يوسف لينظر الى عينيها المسلطان عليه ليجد نفسه فجأة شارداً بلونهما الاخضر..
ضاقت حدقة عينيها وهى تنظر اليه لتقول بتعب و صوت هاديء و ما تزال غير واعية لقولها:
-إثبت مش شايفاك كويس..
قاطعهما طرق الباب بطريقة جنونية مرحة فإبتعد يوسف عنها وأتجه الى الباب و فتحه لتتسع حدقه عينيه عندما يرى تلك الفتاة ذات الاعين الزرقاء ايضا و الوجه المشرق تنظر اليه بشوق و لهفه ثم ترتمى بين ذراعيه وتعانقه بقوة و هي تهتف بإشتياق:
-وحشتنى يا يوسف اوى .. وحشتنى.
رمشت سلمى بأعينها مرات متتالية و هى تنظر اليهما بدهشة ، أمسكت برأسها و أغمضت اعينها بتعب ، لتسقط فجأة على الارض و جبينها يتصبب عرقاَ! ..

- قاطعهما طرق الباب بطريقة جنونية مرحة ، ابتعد عنها يوسف و اتجه الى الباب ثم فتحه لتتسع حدقة عينيه بدهشة عندما رأى تلك الفتاة ذات الاعين الزرقاء و الوجه المشرق تنظر اليه بشوق و لهفة ثم ترتمى بين ذراعيه و تعانقه بقوة و هي تهتف بإشتياق:

-وحشتنى يا يوسف اوى .. وحشتنى.
رمشت سلمى بعينيها مرات متتالية و هى تنظر اليهما بدهشة ، أغمضت عينيها و امسكت رأسها بتعب ، لتسقط على الارض وجبينها يتصبب عرقاَ..
سمع يوسف صوت إصتدام شيء ما بالارض فإلتفت ليجدها سلمى ، اتسعت حدقة عينيه أكثر ليترك تلك الفتاة ويسرع راكضاً إليها ..
رفع رأسها عن الارض و ضرب وجنتها برفق و هو يقول بإضطراب:
-سلمى.. سلمى.
شحب لون وجهها ليبتلع يوسف لعابه بقلق ، إلتفت الى تلك الفتاة –التى تنظر اليه بتعجب و صدمة–ثم قال بلهفه:
-اطلبي دكتور بسرعه..
أومأت برأسها مرات متتاليه ثم ركضت الي الهاتف لتستدعى الطبيب فوراَ..
حملها يوسف بين ذراعيه و مددها على الاريكة ثم وضع كفه على جبينها ليجدها تشتعل كالنار الحارقة..
إقتربت منه الفتاة و على وجهها ملامح الصدمة لتقول بدهشة عارمه:
-مين دى يا يوسف ، انت اتجوزت ؟؟
زفر يوسف بضيق و نظر اليها بإنزعاج ، إشتاق اليها حقا و لكن الوقت غير مناسب لمجيئهـا الان! ..
وصل الطبيب و بدأ فى فحصها طبياً بينما ظل يوسف ينظر اليها بقلق و توتر ، الى ان انتهى الطبيب و إلتفت لينظر اليه ثم يقول:
-متقلقش يا يوسف بيه ، الانسه عندها برد شديد شوية.. و كمان هى مناعتها ضعيفه فـالتعب مسيطر عليها اكتر..
ضم يوسف حاجبيه و هو يقول بجديه:
-طب و دا ملوش علاج يعنى؟!
-لا طبعا في ، بس بجانب العلاج هى محتاجه كمادات بمايه متلجه عشان درجة الحرارة تنخفض ، و انا هكتبلها على حقن وريد عشان تخفف من الهلوسه..
-هلوسه!!
هتف بها يوسف بدهشة ثم تابع:
-مش هو برد بس و لا في حاجه تانيه.
-برد متقلقش بس زى ما قلتلك برد جامد و شديد و الهلوسه دي نتيجة ارتفاع درجه الحرارة ، و زي ما قولت لحضرتك تتنتبهوا على التغذيه كويس و الراحه التامه ..
أومأ يوسف برأسه و هو يذم شفتيه و يلف كفه حول رقبته بينما كفه الاخر في جيب بنطاله ثم قال و هو

يعيد أنظاره للطبيب:
-شكراً يا دكتور.. اتفضل.
إصطحب يوسف الطبيب الى الخارج ثم عاد ليجد تلك الفتاة تنظر الى سلمى نظرات غير مفهومه ، فإتجه نحو سلمى ثم حملها و نظر الي تلك الفتاة و قال بجديه و هو يضم حاجبيه:
-هطلعها و أجيلك.
صعد بها الدرج و دلف الى غرفتها ثم وضعها على السرير و دثرها بالغطاء جيداً و وقف ينظر اليها للحظات ، تنهد مطولاً ثم خرج و أغلق الباب خلفه! ..
****
هبط الدرج ليجدها امامه عاقدة ذراعيها امام صدرها و تنظر اليه بتفحص و هي ترفع احد حاجبيها ، إبتسم يوسف ابتسامة عذبه ثم توقف امامها و فتح لها ذراعيه فظلت تنظر اليه بغموض ليتنهد و يقترب هو ثم يحتضنها ، مرت لحظات الى ان إبتسمت هى و احتضنته ايضا و هى تتمتم بخفوت:
-مهو عشان انت وحشتنى مش هزعل منك.
و لأول مرة يضحك بخفة ثم يقول ممازحاَ:
-متقدريش اصلا يا أوزعه..
ابتعدت عنه و نظرت اليه بجدية ثم قالت:
-مين دى يا يوسف بجد.
تخطاها يوسف و هو يتمتم بإنزعاج:
-ليه السؤال دا يعني يا مريم ؟؟
ذمت مريم شفتيها بضجر ثم قالت مهددة:
-براحتك ، بس هقول لماما و شوف هتعمل فيك ايه ، عايش لوحدك و اتجوزت يا يوسف من ورا اهلك .. من ورا اختك يا يوسف.
ضحك يوسف بشدة و التفت اليها ثم ضربها على رأسها بخفة و قال:
-يخربيت الافلام اللى لحست مخك يا شيخه ، لا طبعا مش مراتى و لا تقربلى حاجه.
وضعت مريم يدها على ثغرها بصدمة ثم قالت:
-يعنى انتى جايبها ليه ؟ .. يوسف اوعى تكونـ..
جذبها من ذراعها و جلسا على الاريكة ثم تنهد و بدأ يقص عليها ما حدث ، إنتهى ووعاد برأسه للخلف بإرهاق ليجد كفها يوضع على كتفه فينظر اليها و يبتسم لتقول بسعاده:
-لا بس واضح ان سلمى دى اثرت فيك يا جو.
ضم يوسف حاجبيه ثم قال بتعجب:
-إزاى يعنى ؟!
إبتسمت بخبث و غمزت له بعينها و هي تقول:
-حلاوتك يا جو ، قلبك دق..
ضربها على وجنتها بخفة ممازحاً ثم نظر امامه و قال بهدوء:
-أخبار ماما و بابا ايه؟
-تمام يا عم وحشتنا كلنا والله.
-وانتوا اكتر و الله ، انتى جيتى لوحدك ليه صحيح؟!
-انا عارفه ان انهارده بيبقى يوم أجازتك فحبيت اجى اقضى معاك يومين.
أغمض يوسف عينيه و هو يتمتم بخفوت:
-مش انا قولت يا مريم انا هعيش لوحدى؟
-إخص عليك يا يوسف ، يعنى انت عايز تفهمنى انك لوحدك دلوقتي.
فتح يوسف أعينه و نظر اليها ليقول بهدوء:
-صدقى محستش ان حد معايا بالرغم من انها هنا.
ذمت مريم شفتيها ثم قالت بضيق مزيف.
-خلى بالك انا بدأت أغير.
-شيلى الافكار دى من دماغك يا مريم، اما تبقى تتجوزى و اطمن عليكى ابقى افكر انا و دور على واحده او حتى اخلى مامتك تدورلى.
وضعت مريم يدها على خصرها ثم قالت مستنكره:
-بقى يوسف الشرقاوى اكبر عميل مباحث فيكى يا بلد يتجوز جواز صالونات .. ليــه ان شاء الله.
إبتسم و أغمض عينيه و هو يستند برأسه علي المقعد ليسمعها تقول بحنان:
-مالك يا يوسف؟
نظر اليها بإبتسامته الوسيمة ثم قال ضاحكا:
-وحشتيني و الله ، تخيلي بقالى ست شهور مشفتكيش.

إبتسمت بمرح ثم قالت ممازحة:
-لو سمحت يا جو انا بنت محترمة اوى ، ان كنت بتتكلم جد تعالى و ادخل الباب من بيته وكلم بابا.
ضحك يوسف بخفة ثم تمتم:
-الباب من بيته آه.. اطلعى بره يا مريم هتجبيلى جلطه.
مدت مريم شفتها السفلي مصطنعة الحزن و هي تقول:
-دا انا بلسم..
-طبعاً يا حبيبتى انتى بلسم وسكر وقمر كمان.
صمتت قليلا ثم قالت فجأة مستفسره:
-جو .. اوعى تكون بتعامل سلمى المعامله الناشفه بتاعتك دى .
نظر اليها بصمت ثم نظر امامه مجدداً و أغمض عينيه لتقول مريم بحزن:
-ليه يا يوسف ما تتعامل بطبيعتك ، يعنى مش يمكن يعنى تكون بدأت و لو بسيط يعنى ، انك انت و هى تـ آآآ..
فقاطعها يوسف بجدية و قد سأم من تكرار نفس الأمر:
-مريم ، دى واحدة عندى لحد ما تفتكر هى مين ، غير كدا مفيش اى مشاعر بينا عقلك ميروحش بعيد ، دا بالعكس لا انا بطيقها ولا هى طيقانى ..
نظرت اليه ببراءة ثم قالت بتعجب بريىء:
-ليه يا جو مش بتقول انك مش حاسس انها معاك و مش مضايق ان حد معاك فى البيت.
نظر اليها يوسف بضيق ؛ فهى مثل دياب فى تلك الـ ألاعيب الخبيثه ، قرر اسكاتها تمام ليقول بإبتسامه مجبره:
-تحبى تفطرى..
-إهرب إهرب يا حضرة الظابط .. هيجيلك يوم و ترجعلى.
ضحك يوسف بخفة ثم قال ممازحا:
-مين قالك انى اقدر على بعادك اصلاً.
لكزته فى كتفه بمزاح ثم قالت فجأة و كأنها تذكرت للتو:
-صحيح يا جو ، انا .. انا يعنى متقدملى عريس وماما موافقة عليه..
صمت لثوانى ثم عاد لجديته المعهوده عندما قال:
-طب و بابا رأيه ايه ؟
قطبت حاجبيها بحزن شديد ثم قالت بخفوت:
-بابا مستنى رأي يا يوسف..
نظر يوسف اليها قليلا ثم قال رافعاً حاجبيه الكثيفين متسائلاً:
-طب وانتى رأيك ايه؟؟
نظرت اليه بضيق فهو يعلم انها لن تستطيع إخباره مع من تريد البقاء طوال حياتها ، ظل ينظر اليها بترقب و هي صامتة فقطع صمتها قائلاً بهدوء:
-مالك .. سكتى ليه ؟
قالت مريم بضيق واضح:
-مفيش .. اللى انتوا عايزينه اعملوه.
إبتسم يوسف ابتسامة صغيرة ثم نظر امامه مجدداً و تابع قائلاً:
-وانا رأي ان اختى مش هتتجوز غير اللى قلبها يختاره و يكون فعلاً قادر انه يشيلها جوا عنيه.
نظرت مريم اليه بسعادة لتصيح قائلة:
-يعنى مش هتوافق معايا يا جو ؟؟
أومأ برأسه فاحتضنته بسعادة طفلة وهى تقول:
-حبيبى يا جو ربنا يخليك ليا يا رب.
****
حل المساء و كالعادة عم الهدوء الذى يكسره صوت الامواج و الرياح فقط! ..
فتحت جفنيها ببطء ثم أغلقتهما بتعب ، عادت لتفتحهما مجدداً و هي تأن بخفوت بألم ثم وضعت يدها على رأسها و حاولت النهوض فلم تستطع ، سعلت بشدة و صدرها يزداد إشتعالاً و ألما ، نظرت بجانبها لتجد حقيبة بلاستيكية بيضاء يوجد بها العديد من الادويه! ..
ضمت حاجبيها بتعجب و لكن قاطعها إنفتاح الباب فالتفتت لتجد مريم تدلف منه و على وجهها إبتسامة عذبة:
-الف الف سلامة عليكى يا قمر..
ضمت سلمى حاجبيها ، هذه هى الفتاة التى رأتها قبل ان تتلاشى الرؤية امام اعينها:
-الله يسلمك.

قالتها سلمى بشيء من الضيق عندما تذكرت تماما ما رأته ، جلست مريم امامها ثم قالت بعدما قرأت ملامحها المنزعجه:
-انا يا ستى مريم اخت يوسف .. قصدى يوسف باشا .. ها و انتى ؟!
نظرت سلمي اليها بصدمة ثم قالت بدهشه:
-اخته .. انتى اخت يوسف.
نظرت مريم اليها قليلاً ثم قالت ضاحكه:
-آه .. ليه فكرتينى ايه مثلا .. حبيبته؟
ابتلعت سلمى لعابها بتوتر ثم قالت بحرج:
-الصراحة .. حاجة زى كدا.
ضحكت مريم ثم قالت بمرح:
-والله انا معنديش مانع ، بس الظروف متسمحش..
إبتسمت سلمى ثم قالت بصوت يكسوه التعب:
-انا كل اللى اعرفه عن نفسى اسمى ، سلمى شوقى.
-يوسف قالى ، متقلقيش ان شاء الله خير وهتفتكرى كل حاجه.
-ان شاء الله ..
قالتها سلمى بهدوء ثم تابعت:
-هو ايه اللى حصلى؟؟
-هو الدكتور قال دور برد و عشان انتى مناعتك ضعيفة فجاي تقيل شويه ..
نظرت سلمى اليها ثم قالت بحرج:
-انتوا كمان جبتوا دكتو ؟!
إبتسمت مريم و أرادت ان تمهد الطريق من احد الاطراف لتقول بخبث:
-طبعاا ، انتى مشفتيش يوسف كان قلقان عليكى ازاى ؟!
انتبهت سلمى و نظرت اليها بدهشة ثم هتفت:
-يا رااجل.
إبتسمت مريم ثم تابعت بخبث:
-ايه يعنى هضحك عليكى ، يلا عشان انتى ليكى حقنه للبرد.
إرتعدت سلمى ونظرت اليها بفزع:
-لاااااااا حقن لأ.
إنفجرت مريم ضاحكة الي ان سقطت علي الفراش امامها لتضم سلمى حاجبيها بإنزعاج:
-ايه مـ..منا مش عايزه..
فأجابو مريم و هي تغالب ضحكها:
-ايه انتي دي شكة إبره ، مهو الدكتور قال دا هيمنع الهلوسات اللى بتجيلك مع السخونية دى.
-هلوسات!
هتفت سلمى بتعجب ثم تابعت:
-ايه دى كمان ؟؟
-يعنى بتقولى كلام اهبل كدا وبتفضحى نفسك.
-طب الحقن دى ايه بالظبط.
-هما تقريبا 3 حقن.
هتفت بصدمة و فزع:
-نعم!!
-لالالا مش مرة واحد اهدى .. دى كل 24 ساعة.
-لا برده مش عايزة .. مبحبهمش.
-اوووووف براحتك دا انتى عنيدة زى اخويا.
-يوووووه بقى.
****
أشرقت الشمس و صعدت عالياً فى السماء ليستيقظ يوسف من نومه و يقوم بإبدال ملابسه ثم يتجه لغرفة شقيقته و يطرق الباب ففتحت له و هى تفرك عينها ثم قالت بنعاس:
-صباح الخير يا جو..
-صباح النور .. انا رايح الشغل انا ، خليكى انتى و هى هنا و متطلعوش فى حته بعيد و ابقوا افطروا و لو زهقتوا روحوا لمرات عمك محمد ، سماعانى و لا انتى نايمة.
تثائبت مريم بكسل وهى تقول:
-سمعاك سمعاك.

نظر اليها بنفاذ صبر ثم اتجه الى الدرج و هو يقول:
-انا ماشى .. سلام.
خرج من المنزل و انطلق بسيارته يشق الارض شقاً ..
صف سيارته و دلف من البوابة الحديدية الى الداخل ، عبر الطرقات العريضة الى ان وصل الى مكتبه ليجلس خلفه و يبدأ فى مباشرة عمله..
مرت لحظات الى ان رفع سماعة الهاتف ليقول بجدية:
-حضرة الظابط دياب يكون عندى حالا..
مرت اكثر من ربع ساعة و يوسف يزفر بضيق منتظراً وصوله ، فُتح الباب و دلف منه دياب بهدوء و تقدم الى ان استقر امام مكتبه فوقف يوسف و ابتعد عن مكتبه ليقف امام دياب و ملامح وجهه غامضه ، مر الوقت فمل دياب من جلسة التحديق هذة ليقول بضيق:
-نعم يا .. يا يوسف باشا.
صمت يوسف قليلا و ارتسمت ملامح السخرية على وجهه ثم رفع كفه ليمسك بياقة قميص دياب ثم يجذبه نحوه! ...
***

- -نعم يا .. يا يوسف باشا.

صمت يوسف قليلا و ارتسمت ملامح السخرية على وجهه ، ثم رفع كفه ليمسك دياب من ياقة قميصه ثم يجذبه نحوه و يقول:
-وقت الشغل شغل يا حضرة الظابط.
امتعض وجه دياب ثم قال بضيق:
-والله انت طلبتنى وجيت.
-ممم ايه النبره الجديدة دى؟
ذم دياب شفتيه ثم قال بتهكم:
-نبرة عمل بقى..
-عمل ؟!
ليتابع دياب بعتاب:
-و ممكن برده تكون نبرة زعل و وجع و قلب مجروح..
ادرك يوسف ما يحاول قوله ليقول منهياً الحديث:
-بص يا دياب ، انا معنديش غير اخت واحده بس و انت عارف ان هى اقرب ليا من اى حد ، مش معنى انى رافضك ليها مؤقتاً انى كدا مش شايفك راجل بمعنى الكلمه ، انما بقى كون انك تقولى مريم هتجوزها برضاك او غصب عنك تؤ دا العيب .. وبرغم دا اختى متقدملها عريس يا سيدى.
نظر اليه بدهشة ثم صاح به بصوت غاضب:
-نعم ، عريس مين دا ان شاء الله ، انت قلتلى انك هتجوزنى اختك لما تكبر .. ايه بقى اختك بتيجي عندى بتصغير و مع غيرى البكر الرشيد مثلا ؟!
-دياب .. اتلم دى اختى.
أشاح دياي بوجهه بعيداً عنه و هو يقول بضيق:
-ياعم .. دا لو كل الناس زيك كان شباب البلد عنست و عاشوا فى العذوبية.
-ششش.
قالها يوسف بإنزعاج لينظر اليه دياب بطرف عينه و كاد ان يصمت و لكن قال بعناد:
-دا احنا كنا نموت منقرضين من قلة الجواز يا شيخ ايه الذل دا يا ربى.
-اخرس يا دياب بقى .. اسمعنى.
-سمعت ايوه .. فى تهزيق تانى.. العريس وهقبض عليه.
عاد يوسف و جلس خلف مكتبه و هو يقول:
-ان كان على العريس فإطمن .. انا مش موافق.
إبتسم دياب بعفوية قائلا:
-تمام كدا انت جو حبيبى.
-بس برده انا مش هجوزهالك يا دياب.
-يا ربـــي .. ليه يا عم اختك هتفضل كدا يعنى.
نظر اليه بضيق ثم قال بحدة:
-ما تسمع يا بنى ادم انت.
-هممم ايه ؟؟
-دياب ، دى اختى و اغلى من روحى ، مريم بالذات اقرب ليا من اى حد ، مريم عايزها تعيش مع راجل بجد ، يستحملها لما تتعصب ، ميمنعهاش من حقوقها و فى النفس الوقت يشجعها على واجباتها ، مش

معنى دا انى مش شايفك كدا بس انا شايفها لسه صغيرة و مش حابب جوازها فى السن دا .. فهمتنى ؟
-لأ.
نطق بها دياب بإمتعاض ثم تابع:
-ايه يا يوسف دا انا بقالى سنين بقولك انا عايز اتقدملها ، عايز اطلب ايدها ، دا كفاية انى مش عارف هى بتحبنى ولا لأ .. كفاية انها اصلا متعرفش انى بحبها..
-نعم ؟؟ .. وانت هتكلمها بصفتك ايه يعنى؟
-اهو .. انت قلتها اهو ، ليــه بقى سيباتك متوافقش عشان ارد عليك ساعتها و اقولك بصفتى جوزها..ها ؟
صمت يوسف و لم يجب ، مر الوقت و هو يفكر ملياً و يحدق بصديقه متفحصاً إياه بتمعن، الى ان نظر الى سطح مكتبه بأعين حادة و ملامح جاده ثم رفع رأسه لينظر الى صديقه الواقف بترقب امامه ليقول بصوت جاد:
-تعالى..و قدم نفسك قدام اهلى و انا هكلمهم عنك..
اتسعت حدقة عينى دياب بدهشة و هو ينظر اليه بصدمة و ما هي لحظات حتي هتف بسعادة:
-بتتكلم جد ؟ ، يعنى اجى وآآ .. اجى عندكم البيت وآآآ.. و اطلب ايد مريم ، يا خرابى مش مصدق .. انا هتجوزها اااااااه قلبى.
اشار اليه يوسف بسبابته قائلا:
-خطوبه الاول يا دياب ، و متفرحش اوى كدا احنا لسه منعرفش رأيها .. هى لما قالتلى على موضوع العريس بان على وشها انها مضايقة.
-استنى استنى .. بان على وشها ازاى و انت شوفتها فين ، انت مش عايش لوحدك؟
-ايوه ماهى جاتلى تقعد معايا يومين.
علت إبتسامة دياب و نظر امامه بشوق ثم نظر الى يوسف مجدداً قائلا:
-طيب يا جو .. سلام ولما تحدد المعاد قولى.
عاد يوسف يمسك بالاوراق ويعمل بها متجاهلاً له ليخرج دياب و خفقات قلبه تتزايد! ...
****
جلست مريم بجانب سلمى الممددة و تغمض عينيها بتعب ، نظرت اليها مريم بإشفاق عندما وجدت وجهها متعرق و يكسوه الاعياء الشديد ، مدت كف يدها و وضعته على جبينها لتتحسس حرارتها فـفتحت سلمى اعينها ببطء و رفعت بصرهـا لتنظر اليها ثم تقول بصوت متحشرج:
-انا بموت يا مريم.
ربتت مريم على كتفها بحنان قائلـة:
-لا يا سلومه بعد الشر عليكى متقوليش كدا .. انتى بس السخونيه هى اللى مشكله.. حرارتك مرتفعه اوى.
أغمضت سلمى اعينها مجدداً ليباغتهــا سعال شديد أخر فتنظر لها مريم بقلق ثم تقول:
-طب ايه رأيك تاخدى شاور يخفف الحرارة دى شوية.
أومأت سلمى برأسها ببطء فساعدتها مريم على النهوض لتدلف الـي المرحاض ثم تركتها و خرجت مغلقةً الباب خلفها..
****
كان جالساً فـي غرفته الى ان طرق الباب احدهم فسمح له بالدخول ، دلف شقيقه تامر ثم نظر اليه قائلا:
-تعالى يا خالد كلم ابوك..
نظر اليه خالد ثم نهض و اتجه اليه ثم امسك بوجهه و قال و هو يحركـه:
-الجروح اللى فى وشك دى يا تامر مش من خناقه عاديه ، و هعرف سببها و انت اللى هتقولى كمان ، انا رايح اشوف ابوك و هاجى القاك هنا.. فاهم؟
ضم تامر حاجبيه بضيق فتركه خالد و تخطاه متجهاً الى حجرة المكتب..
طرق الباب ثم دلف ليجد والده جالساً خلف مكتبه و توجد بين شفتيه سجارة فاخرة و يحدق فى اوراق على المكتب..
وقف خالد امام المكتب و وضع كفيه فى جيب بنطاله الاسود و ظل صامتاً تماماً ينتظر والده ليبدأ بالحديث..
مرت لحظات الى ان رفع والده رأسه و امسك تلك السيجارة بين اصبعيه و اشار الى المقعد قائلا بصوت خشن:
-اعد يا خالد.
ذم خالد شفتيه ثم جلس امامه ليقول مستفسراً:
-تامر قالى انك عايزنى.
-فى بضاعه تانيه هتيجى.
ضم خالد حاجبيه ونظر اليه ثم قال بجديه:
-بالسرعة دى ؟؟ ، الشحنة اللى فاتت ما بقالهاش شهرين.

-رزق وجاى لحد عندنا يا ابنى ..هنقوله لأ.
رفع خالد احد حاجبيه ومط شفتيه بإستمتاع:
-لا طبعا.. والاستلام امتى؟؟
-فى خلال يومين او تلاته بالكتير ..
اومأ خالد برأسه ثم قال:
-تمام تمام..
عاد والده بظهره للخلف بإسترخاء ثم نظر الى خالد و قال:
-امال البنت اللى كنت متقدملها دى فين ولا ايه الوضع ؟!
إمتعض وجه خالد فوراً و نظر ارضاً و هو يتمتم بحنق:
-ابوها بيقولى غرقت.
-ماتت ؟!
هتف بها والده ثم تابع:
-و دا ازاى دا..
ذم خالد شفتيه ثم قال بتهكم:
-راحت رحله بحريه فى اليوم اللى حصلت فيه عاصفه .. و غرقت.
-طب كويس انك مترفضتش .. لسه متولدش اللى يقول لأ لولاد ممدوح السباعى.
-طبعا يا بابا .. طبعا! ..
****
خرجت سلمى من المرحاض و هى تلف منشفة كبيرة حول جسدها و تلف شعرها بمنشفة اخرى ، فتحت الدولاب الذى خصص لملابسها و ظلت تنظر لملابسها الموجودة بحيرة ، سمعت نداء مريم بإسمها تقول:
-سلمى الغدا جاهز..
فالتفت سلمى برأسها ثم هتفت:
-حاضر ثوانى.
نظرت الى ملابسها مجدداً و قررت طلب المساعدة من مريم ، خرجت من الغرفه بهيئتها خصيصاً انها متأكده ان يوسف ليس بالمنزل و ايضا المنشفه كبيرة و تغطى جسدها الى الركبتين و من أعلي تظهر أكتافها و أذرعها بالكامل..
هبطت الدرج و بحثت بعينيها عن مريم فلم تجدها ، كادت ان تنادى بإسمها مجدداً و لكن صدمت عندما وجدت باب المنزل يُفتح و يدلف منه يوسف..
وقف يوسف مكانه بصدمة عندما و جدها امامه هكذا ، اما هى فظلت تحدق به و الصدمة باديه على وجهها و لم تستطع التحرك ، ادرك يوسف الامر فاخفض بصره بتوتر ثم التفت وخرج مجدداً مغلقاً الباب خلفه بقوة..
ايقظها صوت صفعه الباب لتشهق بقوة و تضع كفها على فاها بصدمة ، تمنت لو تنشق الارض الان و تبتلعها لكى ينسى ذلك الموقف المحرج..
خرجت مريم من المرحاض و هى تجفف يدها بمنشفه ، فوقعت انظارها على سلمى الواضعه كفها فوق فمها و تنظر الي الباب بصدمه! ..
نظرت الى المنشفه التى تغطى معظم جسدها ثم هتفت بقوة:
-ايه الهبل دا انتى بتستعبطى .. مش خايفة تتعبى اكتر و البرد يزيد..
لم تجب ، بل لم تلتفت حتى ، اقتربت منها مريم وضمت حاجبيها و هي تقول بتعجب:
-مالك يا بت؟!
ابتلعت سلمى لعابها بتوتر و ارتباك ثم نظرت اليها و قالت:
-مفيش ، والله ماعملت حاجه.
-والله ما عملت حاجه ؟ .. مالك يابنتى؟؟
امسكت سلمى بالمنشفه بيدها جيداً ثم احتضنت جسدها بذراعها و قالت و وجهها قد استبغ باللون الاحمر:
-ما ممـ ..مفيش ، اناآآآ هـ هطلع انام و
ومش عاايزة اكل..
ضحكت مريم على ارتباكها الشديد و كادت ان تتحدث و لكن قاطعها رنين هاتفها لتخرجه من جيبها و تنظر الى اسم المتصل فتهتف بسعاده:
-ايه دا استنى دا جوو.
سرت قشعريرة فى جسد سلمى لتتراجع ثم تهرول بسرعة لتصعد الدرج و تركض الـي غرفتها ثم تغلق الباب خلفها..
رفعت مريم احد حاجبيها بتعجب ثم اجابت على الاتصال:
-الو ايوه يا جو..

ليأتى صوته المرتبك قائلا:
-ايوه يا مريم .. انا .. انا قدام البيت وجاي اهو..
-طيب تعالى .. بتتصل ليه يعنى ؟!
-حبيت اعرفك و خلاص .. انا طالع اهو وهدخل .. هفتح البــاب وهدخل .. ماشى؟
ضمت حاجبيها ثم ابتسمت و قالت بتعجب:
-ايه يا يوسف تعالى يا حبيبى دا بيتك ، تحب افتحلك الباب ؟؟
-لا خلاص انا داخل.
اغلقت الهاتف لتجده يفتح الباب و يدلف و هو ينظر ارضاً..
اتجهت اليه ثم نظرت تتفحص وجهه لتقول ضاحكة:
-ايه يا جماعه انتوا كلكوا متغرين كدا ليه؟!
نظر يوسف خلسة الى المكان الذى كانت تقف به سلمى ثم رفع بصره الى شقيقته و قال بإهتمام:
-متغيرين ازاى يعنى .. بتتكلمى عن مين ؟!
-انت و سلمى .. خلاص فكك و تعالى كل معانا ، انا هطلع انده سلمى.
نظر اليه حالما نطقت بإسمها ثم ابتلع لعابه و تمتم:
-طيب.
****
صعدت مريم الى غرفة سلمى و طرقت الباب ثم دلفت لتجدها تجلس بإرتباك بعد ان ابدلت ملابسها:
-سيمو الغدا جاهز.
نظرت اليها سلمى بسرعة ثم قالت:
-لالالا انا شبعت .. مش هاكل انا.
اقتربت منها مريم و جذبتها من ذراعها و هي تقول:
-لا طبعا انتى تعبانه و الدكتور قالنا ان تغذيتك ضعيفه.
ضمت سلمى حاجبيها قائلة بتوسل و رجاء:
-لالا بليييز يا مريم سيبنى.
زفرت مريم بنفاذ صبر و تابعت جذبها الى ان اخرجتها من الغرفه ، لم تستطع سلمى منعها فما زالت تحت تأثير الاعياء الشديد..
دفعتها مريم للخارج و سلمى تتوسلها لكى تتركها و لكن لا حياة لمن تنادى..
دفعتها مريم عند آخر الدرج لتجد سلمى نفسها امام يوسف الجالس ينظر اليهما بصمت ، توردت وجنتها و اخفضت بصرها سريعاً الى ان وصلت مريم و جذبتها ثم اجلستها على المقعد المجاور لمقعد يوسف بالقوة ، ثم جلست هى على المقعد المقابل لمقعدها ومجاور لمقعد يوسف ايضاً..
لم تجد سلمى مفراً او وسيلة للهروب ، لم ترفع بصرها بل ظلت تنظر لكفيها وهى تفركهما بتوتر شديد و وجهها يزداد احمراراً..
نظرت اليها مريم ثم نظرت الى يوسف الغامض بالنسبة لها لتهتف بتعجب:
-فى ايه يا جماعه .. مالكوا مكسوفين كدا ليه؟!
سعلت سلمى بحرج و ظلت تشبك اصابعها ببعضهما بتوتر شديد لتسمع يوسف يقول:
-مفيش يا مريم ، ان كان عليا انا على طبيعتى.
ابتلعت سلمى لعابها بتوتر و نقلت بصرها الى مريم التى تنظر اليها بتعجب فحاولت ان تتمالك نفسها و تبدو طبيعيه رغم احراجها الشديد فإبتسمت ابتسامة مجبره لها ثم اختلست النظر ليوسف لتجده ينظر اليها بطرف عينه فتخفض بصرها بسرعة! ..
****
الساعة الواحده صباحاً ، عاد يوسف الى المنزل كعادته و صعد الدرج ليمر بجانب غرفتها المفتوحة جزئيا ليجدها تتحدث بكلمات متقطعة و غير مفهومة! ..
تردد كثيراً قبل ان يلقى نظرة سريعة عليها و بالأخص ان بابها مفتوح ، اطل برأسه من الباب ثم دلف بهدوء و حذر ليجد سلمى نائمة على السرير و نور الغرفة الخافت ينيرها جزئياً..
اقترب من الفراش ببطء و ضم حاجبيه عندما وجد حبات العرق تملأ وجهها و تزيده احمـراراً و توهجاً ..
شعر بالقلق فحالها لا يسر من ينظر اليها ، وضع كف يده على جبينها ليتفحص حرارتها فوجدها ترمش بعينيها منذرةً بالاستيقاظ فخفق قلبه و ابعد يده بسرعة علها تعود مجدداً للنوم ، و لكن لا ، وجدها تفتح عينيها ببطء وتنظر اليه..
ثبت مكانه و توقف عقله عن العمل ..كيف سيوضح لها ما يفعله هنا ؟!
اربكه صمتها و سكونها فابتلع لعابه بتوتر و كاد ان يتحدث فقاطعته هى بلهجة غير واعيه:
-انا كنت على جزيرة .. وقعت فى البحر و عمرو سابنى.
ضم حاجبيه بتعجب ، ادرك انها الان كما قال الطبيب ، هلوسات .. لحظه مهلاً ، من هو عمرو؟

ادرك انها لن تعرف ما حدث لذا جلس على المقعد المجاور لها ثم قال و هو ينظر اليها بترقب:
-عمرو مين؟
تلملمت فى فراشها و أغمضت عينيها بتمهل و هى تتمتم:
-بابا كان هيجوزنى بس الموجة ضربتنى و غرقت.
ذم شفتيه بضيق ، هل هى متزوجة حقاً .. دارت افكار شتى فى رأسه الى ان سمعها تقول بصوت مرهق:
-عينيه زرقا .. بيتوهنى.
ارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتيه عندما علم انه المقصود بكلماتها ، تعجب قليلا من انه يشغل مكاناً من تفكيرها و لكن قتلت ابتسامته بقولها المنزعج و هي تتلملم في فراشها:
-غبى و عصبى.. مبيفهمش..
نظر اليها و عض على شفتيه بغيظ ، هدأت سلمى و سكنت هلوساتها ، اسند يوسف رأسه على ظهر المقعد وظل يتأملها .. لا يعرف ماهية شعوره ذاك ، ولكن برائتها اثناء نومها تجذبه و بشده..
تذكر خجلها و ارتباكها منه ليبتسم ابتسامة رقيقه ، تابع قطرة العرق التى تعبر من جبينها لتسكن قليلا بجانب عينها ثم تتابع لتصل الى وجنتها.. وجد نفسه تلقائياً يمد اصبعه و يزيح تلك القطرة برفق و هو ينظر الى وجهها الهادئ ..
افاق على صوت رنين هاتفه لينهض بسرعة لكى لا تستيقظ و يخرج من الغرفة ، اخرج هاتفه بضيق و نظر الى المتصل ليضم حاجبيه بدهشه ثم يجيب بقلق:
-الو .. ايوه يا ماما.
اتاه صوتها المتضايق:
-ازيك يا يوسف يابنى.
-تمام الحمد لله .. مالك ايه اللى حصل الوقت متأخر؟؟
-فى انى عايزة اطمن ، اعرف انا عرفت اربى ولا لأ يا يوسف.
-فى ايه يا ماما .. اتكلمى على طول لو سمحتى.
-ايه حكاية البت اللى اسمها سلمى دى يا يوسف.
صدم يوسف فى البدايه و لكن بعد تفكير دام للحظات اكتشف الامر ليقول بتعجب:
-ممم مريم قالتلك..
-ايوه يا حبيبى.
قالتها بتهكم ثم تابعت:
-انت بتستغفلنى يا يوسف.. عايش لوحدك عشان تصيع.
-ماما..
هتف بحدة بسيطة ثم تابع:
-اظن انا ميتخفش عليا .. انتى عارفه ابنك.
-يوسف.. انتى تيجى بكره انت واختك والبت دى عندنا.. والا قسماً بالله هتلاقينى عندك انهارده.
-اهدى يا ماما الموضوع مش مستاهل ، دى..
لتقاطعه بقولها الحاسم:
-هى كلمة و اتقالت .. اظن انت تعرف وفاء لما تقرر .. وانا بنفسى هشوف حكاية البت دى..
-طب وشغلى .. هجيلك واسيبه.
-خد اجازة .. اتصرف .. أقلب الارض واعدلها تانى ، بس تكون قدامى انت والهانم بتاعتك .. انت سامع.
-حاضر يا امى بس اهدى .. بكره هنكون عندك حاضر..
انهى الاتصال معها ثم زفر بضيق و حيرة و هو ينظر الى غرفة مريم بحنق ليتمتم قائلا:
-هتصرف ازاى انا .. يا رب سترك و عدى الموضوع دا على خير! ..

- أشرقت الشمس لتنير الارض و تحيها بعد ان ذبلت من ساعات الليل الطويلـه! ..

استيقظ يوسف مبكراً ليستعد للسفر لمنزله الذى ابتعد عنه لـ سنوات طوال ، و لم يره فى تلك الفترة ابداً ، كان الاهل يكتفى بزيارته ايام معدودة كل فترة وفقاً لتعليماتــه و رغباته التى اصر عليها و بشدة..
اتم تجهيز حقيبته ثم خرج و اتجه الى غرفة شقيقته ثم طرق الباب طرقات قويه ، فتحت له مريم و نظرت اليه ثم قالت بتعجب:
-مالك بتخبط كدا ليه؟!
نظر اليها ثم قال بجمود:
-جهزى نفسك احنا هنرجع البيت.
اتسعت حدقه عينيها بسعادة ثم هتفت:
-بجد هترجع معايا يا يوسف؟؟
-لأ .. انا هشوف حضرتك قولتى ايه بالظبط لمامتك.
قالها بنبرة عتاب لتضم مريم حاجبيها بتعجب ثم تقول:

-ماما ؟ مالها قولتلها ايه انا؟!
-دا اللى احنا اتفقنا عليه يا مريم ، مش قلنا امك متعرفش بموضوع سلمى.
تبدلت ملامحها لتوتر شديد و هى تقول بتلعثم:
-و الله يا جو مـ .. مكنتش اقصد انا بس كنت بكلمها عـادى و وقعت بلسانى وآآ .. و بس.
زفر يوسف مطولاً و وضع كف يده على وجهه يفركه بقوة لتقول مريم بهدوء:
-خلاص بقى اللى حصل حصل .. خلاص بقى يعنى ماما وحشة؟؟
نظر اليها يوسف شزراً ثم قال بتهكم:
-دا على اساس انك متعرفيهاش ؟! .. يلا يا مريم جهزى نفسك وروحى لسلمى خليها تجهز هى كمان.
-يعنى ماما ناويه على ايه؟ ، ما كنت تفهمها سلمى تبقى مين..
-ملحقتش..
هتف بها يوسف بإنفعال ثم تابع:
-كانت مضايفه و محبتش اتكلم فى الموبايل لازم اكون قدامها و اشرحلها اللى حصل .. دى فهمت الموضوع غلط خالص.
-طيب .. انا هنزل اشوف لو كان فى اكل بره التلاجه احطـه و هطلع اجهز.. روق انت بس يا جو..
نظر اليها ثم زفر بضيق و عاد مجدداً الى غرفته..
هبطت مريم الدرج و اتجهت الى المطبخ و لكن اوقفها رنين جرس الباب فنظرت اليه بتعجب و هي تتمتم:
-دا مين الغتت اللى جاى على الصبح دا ؟!
اتجهت الي الباب ثم فتحته ليقف كلاً من الاثنين مصدوماً بـ الاخر! ..
تحولت نظرات دياب الى سعادة لا توصف و ابتسامة بلهاء عندما رآها امامه ، أما هى فـإبتلعت لعابها بتوتر و دقات قلبها تزداد ، خشيت ان يشك بأمرها و يسمع خفقات قلبها فتراجعت خطوتين لتفسح له المجال و هى تشيح بوجهها بعيداً و تقول بتلعثم:
-أأ .. أتفضل.
دلف دياب و هو ما يزال يسلط بصره عليها بنظرات حب و شوق بينما هى تتفادى النظر الى عينيه لتسمعه يقول بهدوء:
-صباح الخير..
-صباح النور يا حضرة الظابط .. ثوانى هنده يوسف.
نطق بصوت أشبه للهمس و هو يسبل بجفنيه:
-متستعجليش .. خليه براحته اكيد مشغول.
انتبهت لما يحدث فنظرت اليه بنظرات جادة و قد عادت لوعيها –رغم سعادتها بوجوده– لتقول بحدة:
-يوسف على طول مشغول .. عن إذنك هروح اقوله انك هنا.
تحركت من امامه بكبرياء ثم تابعت لتصعد الدرج و هو يراقبها بهيام و ما زالت الابتسامة البلهاء على وجهه! ..
****
طرقت الباب ثم استندت علي الحائط بكتفها و ظلت تلف خصلة من شعرها حول اصبعها ، فتح يوسف الباب ثم نظر اليها ليجدها مبتسمة و شارده فيقول بتعجب:
-فى ايه مالك؟!
أيقظها من حلمهـا بصوتـه الرجولي فتبدلت ملامحها و اعتدلت فى وقفتهـا قائلة بنبرة تحاول إخفاء السعادة منها:
-آآآ اصل فـ.. فى واحد تحت و عايزك.
ضم يوسف حاجبيه بتعجب قائلا:
-واحد مين و انتى دخلتيـه ازاى و انتى متعرفهوش؟!
-لألأ .. داا..دا باين كدا زميلك اللى اسمه.. اسمـه ..اه .. اسمه ديـاب.
كانت تنظر اليه ببراءة مصطنعه و تتحدث بنبرة بريئه ، و لكنه ادرك لعبتها ليبتسم ابتسامه صغيرة جانبية ثم يقـول:
-طيب.. روحى كملى تجهيز و انا هنزله.
دفعها فضولها لطرح سؤال احمق:
-طب هو عايزك ليه؟؟
نظر اليها يوسف بجدية لتقول منسحبه:
-سورى سورى ، انا هصحى سلمى..
دلفت مريم الى غرفة سلمى و هبط يوسف الدرج ليجد دياب شارداً بإبتسامة هو الاخر فـيذم شفتيه متعجباً ثم يقول:
-ايه اللى جابك يا دياب ، فى حاجة فى الشغل ؟

انتبه دياب لصوته و نظر اليه ثم قال:
-لا ابداً .. كله تمام.
امتعض وجه يوسف و هو يقول:
-امال فى ايه؟
ابتسم دياب ممازحاً ثم قال:
-جيت اشوفك يا جو وحشتنى.
رفع يوسف حاجبيه ثم قال بتهكم:
-آآآآه .. قولتلى.. طب ماشى بس للأسف احنا هنسافر دلوقتى.
انتفض دياب ناحيته بصدمة و هو يقول:
-ليـــه ، ليه يا يوسف رايحين فين؟؟
جلس يوسف على الاريكة و استند برأسه على كفه و اغمض عينيه ثم قال:
-بـس يا دياب بس .. امى عرفت بموضوع سلمـى و هنروحلها..
صمت دياب قليلا ثم قال بنبرة متوسلة:
-مينفعش تسيب مريم هنا.
نظر اليه يوسف بنظرات حادة قاتلة ليقول دياب بأسف:
-آسف خلاص مكنتش اقصد..
****
اقتربت مريم من سلمى النائمة وهى تدندن:
-سمسمه .. سلومتى يا احلى سلمى فى الدنيا قومى يلا.
فتحت سلمى اعينها و نظرت اليها بتعجب ثم قالت ضاحكه:
-ايه الحب دا اهدى.. فى ايه؟
-قومى اجهزى يلا عشان هنمشى.
إنتصبت سلمى جالسة و هى تمسك برأسها ثم قالت:
-هنمشى نروح فين؟!
-لـ ماما .. اسمها وفـاء.
ثم تابعت ببراءه:
-هى بس عايزة تتعرف عليكى .. بس.
امسكت سلمى برقبتها و ظلت تفركها بألم و هي تقول:
-طيب .. بس انتى مالك اللى يشوفك يقول انك عايشة قصة حب جديده!
القت مريم بجسدها على السرير ثم قالت بعد تنهيده:
-مش جديده وحياتك..
مالت سلمى بجسدها ناحيتها قليلا و هي تتمتم:
-ممم دا الموضوع كبير يا حلوة ، قولى..
وضعت مريم ذراعها اسفل رأسها ثم قالت بهيام وهى تتأمل السقف:
-احساس انك تبقى طايرة كدا لما تشوفى حد عزيز عليكى .. تؤ عزيز ايه ، حد كدا بتحبيه من صغرك..
تنهدت بهيام ثم تابعت:
-احساس ميتوصفش يا سلمى ، بقالى شهور مشفتوش و اهو دلوقتى تحت مع اخويا.
اقتربت منها سلمى و نظرت اليها ثم تابعت بتعجب:
-طب و هو عارف انك بتموتى فيه كدا؟
-لأ طبعا انتى عايزة يوسف يقتلنى ؟!
أومأت سلمى برأسها مرات ببطء ثم قالت رافعةً حاجبيها:
-طب و بمناسبه يوسف ..حضرته يعرف ان اخته آآآ..
ابتسمت مريم و قالت ضاحكة و هى تغمز لها بعينها:
-لا طبعا ميعرفش ان اخته آآآ .. و بعدين انتى اول واحده تعرف اهو انا بصراحه حبيتك زى ما بيقولوا من اول قاعده.
-و الله انا اللى حبيتكوا كلكو ، انتى و طنط فاطمة و عمو محمد و حسن ابنه اعتبرته اخويا بالظبط..
غمزت مريم بعينها و هي تقول بخبث:
-طب بس كدا .. فى لسه نفر فى العيله..
ارتبكت سلمى و اعتدلت فى جلستها ثم قالت:
-نفر ؟! نفر مين دا يعنى؟
اعتدلت مريم و نظرت اليها بأعين متفحصة تبحث عن اجابه وهـي تقول:
-روميـو طبعاً مين غيره .. يوسف يا حلوة ايه اخبارك معاه؟؟

حاولت سلمى النهوض و هى تقول بتوتر:
-احنا المفروض نمشى دلوقتى صح؟
ضحكت مريم بخبث ثم قامت و نظرت اليها بإبتسامه:
-اهربى يا سيمو اهربي .. على العموم احنا هنقضى فترة عند ماما و بابا ، و هتنامى معايا فى الاوضه ، هتعترف يعنى هتعترف يا جميل! ..
****
مر الوقت الى ان هبطت كلتاهما و هما يحملان حقائبهما ، نظر يوسف الى سلمى التى كانت تنظر ارضاً بينما نظر دياب الى مريم بحزن لمغادرتها مجدداً:
-احنا جاهزين يا يوسف.
نطقت بها مريم و هى تنظر لشقيقها الذى انتبه اليها ثم نهض و ضم حاجبيه الكثيفين قائلاً:
-طيب انتى سيبى عربيتك هنا و هنركب عربيتى.
-اوك.
نظر الى دياب ثم وجه حديثه اليه قائلا:
-تحب تيجى معانا يا دياب و لا ايه ؟
نظرت اليه مريم فإلتقت اعينهما للحظات و سلمى تتابعهما بإستمتاع ، الى ان نظر دياب الى يوسف ثم قال بهدوء و حزن مخفى:
-لالا .. انا هرجع الشغل انا بقى ، و متقلقش همضيلك على اجازة..
-طيب تكرم يا دياب.
صمت دياب قليلاً ثم قال:
-استأذن انا بقى .. السلام عليكم.
-مع الســلامه.
خرج دياب و رحل فنظر يوسف الى الحقائب و حمل حقيبة شقيقته ثم اقترب من حقيبة سلمى التى كانت تحملها و مال بجسده ليمسك بها فلامست اصابعه كفها لتتركها سلمى بتوتر لتسقط الحقيبة على الارض! ..
رفع يوسف رأسه و نظر اليها ثم عاد و امسك بالحقيبه و اعتدل مجدداً ليقول بلهجة آمرة قبل ان يخرج:
-تعالوا ورايا..
ما ان رحل حتى نظرت مريم الى سلمى و جذبتها من ذراعها و هي تقول:
-حلاوتك من اولها متوتره..
خرجتا و اتجهتا الى السيارة ، كان يوسف يضع الحقائب في صندوق العربة و يتمم علي الاغراض ، اسرعت مريم و صعدت لتجلس على المقعد بجانب مقعد يوسف بينما كانت سلمى تسير بهدوء و بطء..
أغلق يوسف صندوق السيارة ثم التفت ليجد سلمى ما تزال خارج السيارة ، بل انها تتقدم اليهما ببطء شديد ، ابتلع لعابه بتوتر عندما باغتته فكرة ان تكون قد رأته عندما كانت تهلوس بالامس ؛ فيبدو عليها الشرود قليلا..
عندما وصلت اليهم فتح يوسف باب السيارة الخلفى لها و اتجه دون ان ينظر اليها ليصعد و يجلس خلف مقود السيارة ، رفعت سلمى حاجبيها قليلاً بتعجب ثم صعدت هى الاخرى و اغلقت الباب خلفها ثم فتحت النافذة و استندت برأسها على حافتها..
انطلق يوسف بالسيارة فنظرت اليه مريم ثم قالت:
-بص بقى بما ان الطريق طويله و لسه ساعات عما نوصل .. فلو سمحت شغل اغانى تسلينا.
-بس يا بت.
نطق بها يوسف و هو مسلط نظره على الطريق امامه فنظرت اليه مريم بضجر ثم التفتت الى سلمى:
-قولى حاجه يا سلمى.
انتبهت سلمى اليهما ونظرت اليها ثم قالت:
-ها بتكلمينى؟؟
زفرت مريم بضيق ثم هتفت بضجر:
-يا رب انا اعده مع اتنين معقدين.. ايه دا؟
-طب فى ايه؟ معلش كنت سرحانة.
-الطريق لسه طويلة ايه رأيك فى اغانى اجنبى هادية.. جو استاذ فى الرومانسيه ميغركيش الوش الخشب دا.
نظر يوسف اليها ثم نظر الى سلمى عبر المرآة فوجد عينيها مسلطان عليه عبر المرآة ايضا ولكنها اخفضتها سريعاً فنظر مجدداً الى الطريق امامه لتقول سلمى:
-عادى اللى تحبيه يا مريم.
نظرت مريم الي يوسف ثم نظرت الى مشغل الموسيقى و عبثت بـه قليلا الى ان بدأت اغنيه ذات موسيقى رومانسيه هادئه باللغة الفرنسية:

-الله عليك يا جو.
هتفت بها مريم بسعادة لتعود سلمى الى وضعيتها مجدداً تتابع الشاطيء الطويل و البحر الواسع ، رفعت بصرها الى السماء تتأمل اسراب الطير الاسود المتواجد دائما فى سماء هذه المنطقة ..
نظر يوسف اليها عبر المرآة مجدداً ليجدها شاردة فى الامواج و شعرها الكستنائى يتطاير مع الهواء القادم من النافذة ، لون اعينها الاخضر تنعكس عليه زرقه البحر امامها ليزيد لونها إثارة وجمالاً ، نسى انه يقود السيارة و ظل مركزاً على تفاصيل وجهها الدقيقه ، كانت هادئة و مستسلمة للهواء ليلفح وجهها الناعم و يداعب خصلات شعرها بدلال ، سطعت الشمس على وجهها لتزعج هدوئها و تغمض جفنيها ثم ترفع رأسها و تعتدل لينظر هو امامه بسرعة و يبتلع لعابه بتوتر..
نظر الى الطريق ليجد السيارة قد انحرفت و تكاد تخترق مياه البحر صرخت سلمى بذعر عندما وجدت نفسها على مقربة شديده من البحر فأدار يوسف المقود الى الناحية الاخرى بسرعة ليبتعدوا عن المياه بمسافة كبيره ، نظرت مريم الى سلمى ثم قالت بقلق:
-ايه يابنتى خضتينى دا بحر ، مايه عادى يعنى.
نظرت اليها سلمى ودقات قلبها تزداد مع رعبها ، لا تعلم لم كل هذا الخوف ولكنها خشيت الاقتراب بمسافه كبيرة من الماء .. ! ، أكانت هكذا قبل ان تفقد ذاركتها ؟
ابتلعت لعابها و هدأت قليلا ثم قالت:
-انا خفت مرة واحدة لقيتنا داخلين على البحر كدا.
نظرت مريم الى يوسف الذى كان مسلطاً نظره على الطريق و كأن شيئاً لم يحدث ثم وضعت كفها على كتفه و هي تقول:
-خد بالك من الطريق يا جو ، معانا قلوب ضعيفة.
****
مرت ساعات طويلة الى ان وصلت السيارة أخيراً الى القاهرة..
تلك البلدة ذات الشوارع المزدحمة و المنازل و العمارات المرتفه و عماويد الانارة الموجودة على جانبى الطريق امامهم..
نظرت سلمى الى بساطة اهلها و الى الاطفال الواقفين فى النوافذ و الشرفات فى منازلهم فإبتسمت ابتسامة صافية عذبه..
نظرت مريم الى يوسف للحظات ثم قالت مقترحة:
-ايه رأيك يا جو نروح لعمتك فريدة؟؟
نظر اليها يوسف ثم عاد و نظر امامه ثم قال:
-طب مش لما نروح للبيت الاول؟!
-لأ بليز هى شقتها فى العمارة اللى فى الشارع دا..
صمت يوسف فتابعت بتوسل:
-بليــز يا يوسف عشان خاطرى.
-طيب خلاص بس هنشوفها و نمشى بسرعة عشان مامتك.
-حاضر ، تسلملى يا يوسفتى.
نظر اليها يوسف و رفع احد حاجبيه بإستنكار ثم نظر امامه مجدداً و ابتسم بخفه ، ثم ادار المقود ليأخذ طريقاً فرعياً و بعد قليل يتوقف امام عمارة ذات طوابق كثيرة و عاليه..
ارتجل يوسف و مريم من السيارة لتنتبه سلمى و ترتجل هى ايضا منها لتوجه حديثها الى مريم:
-احنا وصلنا؟
نظرت اليها مريم ثم اومأت برأسها ، ثم و فجـأة:
-مريــومـــه وحشتينى.
التفتت مريم لتجد احدى صديقاتها المقربات امامها ، احتضنت الفتاتين بعضهما مع إطلاق صيحات الفرحة ثم بدأت الاحاديث المعروفة و التى لا نهاية لها بين الفتيات! ..
زفر يوسف ثم نظر الى مريم ليقول بضيق:
-طيب انا هطلع انا بقى يا مريم.
-اوك يا جو و انا مش هتأخر.
نظرت الفتاة الي يوسف بإبتسامة فالتفت يوسف متجاهلاً لها بينما لاحظتها سلمى فنظرت اليها شزراً ، كاد يوسف ان يصعد و لكن توقف و التفت برأسه الى سلمى التى بدى عليها الضجر و الضيق لينادى عليها بتردد:
-سلـمى!..
نظرت اليه بتعجب لتجده يشير اليها لتأتى فإستاذنت و اتجهت اليه:
-نعم ؟!
نظر اليها ثم قال بجدية:

-اطلعى انتى معايا هما لسه بدرى عما يخلصوا.
قالها ثم التفت و تابع سيره لتذم شفتيها بتعجب ثم تسير هى الاخرى خلفه..
وقف الاثنان امام المصعد الكهربائى ينتظرانه الى ان وصل للطابق الارضي ففتح الباب ليدلفا هما الاثنان..
ضغط يوسف على أزرار الطابق التى تقطن به عمته ليتحرك المصعد لأعلى فتضع سلمى يدها على موضع قلبها الذى يخفق بشدة..
مرت لحظات صمت و هى تختلس النظر اليه لتجده ينظر امامه و كأنها ليست موجودة ، قطع تفكيرها صوت غريب تسمعه لأول مرة! ..
صوت آلة تعطلت ، صوت اسلاك تحتك ببعضها ، صوت المصعد يتوقف عن الحراك! ..
اتسعت حدقة عينيها بصدمة و نظرت الى يوسف الذى تبدلت ملامحه الى القلق و الانزعاج ثم قالت بفزع :
-هو ايه اللى حصل؟!
سألته بقلق لينظر اليها ثم يقترب من باب المصعد و يحاول فتحه فلم يستطع فإعتدل في وقفته و قال بجديه:
-أظاهر الاسانسير علق بين دورين.
ارتعدت ملامحها و تراجعت بخوف و هى تتمتم:
-يعنى ايه دا؟؟ مش المفروض بيبقى فى عمو البواب هنا؟!
نظر اليها بنفاذ صبر و قال محاولاً التخفيف من خوفها:
-معلش ، اهدى و متقلقيش.
اخرج هاتفه من جيبه و حاول تشغيله و لكن للاسف كانت بطاريته فارغة ، بدأت الدموع تتكون فى اعينها وهى تنظر اليه و هو يهتف بصوت هادر حتى يسمعه اى احد:
-عم عويـــس .. يا عم عويــس..
****
ركض بعض الاطفال خلف بعضهم البعض بمرح و هم يلعبون امام ذلك المبني ، اختبأ احدهم فى غرفة الحارس ليلمح صندوقاً معلقاً على الحائط ، أدرك الطفل انه صندوق يتحكم بالكهرباء ليبتسم ابتسامة شيطانية و يتقدم نحوه ليكمل مقلبه بأصدقائه ، فتحه ثم عبث قليلاً بالازرار ثم اغلقه وهرب سريعاً! ..
****
إنطفأت الانوار فجأة بالمصعد لتشهق سلمى بذعر و تنكمش بأحد الاركان..
تفاجأ يوسف بهذه الكوارث المتلاحقة ، لقد اصبح فى ظلام حالك لا يرى كف يده حتى إن وضعه امام عينيه..
التفت عندما سمع صوت بكاء و شهقات سلمى يأتى من احد الاركان لينطق بهدوء محاولاً بث الطمأنينه بداخلها:
-متخافيش يا سلمى.
سكنت شهقاتها لسماع صوته فقط ، فعل ما اراد فقد سرت تطمأنينة و لو بسيطة فى اصولها لتستطيع القول رغم إرتجاف موجود فى صوتها:
-انا خايفة يا يوسف..
دق قلبه مجدداً بشدة ، ضم حاجبيه بحيرة فقد سأم من الهتاف لينقذهم احد ، سكن قليلا يفكر الى ان وجد جسده يتحرك رغماً عنه ليقترب منها و يمد ذراعيه بإتجاها ليجذبها اليه و يسكن رأسها على صدره! ..
خفق قلبها بشده ما ان وجدت نفسها بين ذراعيه ، لم تستطع الحراك ، استحوذت رائحة عطره القوى عليها فأسرتها و جعلتها سجينتها للأبد..
شعر يوسف بضربات قلبها تتسارع ليضمها اليه اكثر و يزيد من إحكام قبضته عليها و كأنه يستغل قربها منه دون إرادته ، لقد ادرك انه كما قال دياب .. وقع فى بحر العشق و الحب بل و غرق به أيضا! ...

- إقترب الطفل مجدداً من غرفة الحارس بعد ان سأم من خدعته الفاشلة و رفع مقابس الكهرباء مجدداً ثم غادر و على وجهه علامات الضجر! ..

****
كانت سلمى ما تزال تحت تأثير الصدمة ؛ فكان عطره القوى بالنسبة لها احد انواع المخدر سريع المفعول! ..
عادت الانوار مجدداً ليزيد الامر صعوبة عليها ، فهو ما زال محكماً قبضته عليها و المسافه بينهما منعدمة حرفياً ، أغمضت عينيها و فكرت فى دفعه بقوة و بالفعل همت بدفعه و لكن سبقها هو و إبتعد ، سحب مخدره السريع من جسدها الضعيف لترفع سلمى رأسها قليلا لتستطيع النظر اليه جراء طول قامته و تنظر اليه بدهشة و صدمة..
كان ينظر اليها ايضاً و يتأمل خصلات شعرها التى تبعثرت برقة على وجهها و عينيها ، ابتلع لعابه بتوتر ليشيح بوجهه عنها و يقترب من باب المصعد ليتخلص من نظراتها المصدومة ؛ فهو اكثر صدمة منها

بفعلته!!
هتف مجدداً بصوت مرتفع عسى ان يسمعه احد:
-يا عم عويس.. عم عويــس!
تعجب من عدم استجابة الحارس للنداء المتكرر ، سكن قليلاً عندما تذكر ان شقيقته بالخارج ليهتف بإسمها مرات و لكن بلا فائده ، ذم شفتيه بضيق فهو يعرف شقيقته جيداً ، عندما يبدأ احداً معها الحديث ؛ لا تنتهى من الثرثرة التافهه! ..
سأم من تلك المحاولات التى ختمت بالفشل ، ففكر في حل سريع ، من المؤكد ان يستخدم احدَ المصعد ، و عندها سيعلم انه معطـل و بالتالى سيعلم ان هناك من هو عالق به بالاعلى ، و سيتم انقادهمـا..
راقت له تلك الفكرة فإلتفت ثم استند بظهره على جدار المصعد الجانبى و نظر الى سلمى ليجدها جالسة على ارضيه المصعد و هى تضم ركبتيها الى صدرها و تخبيء وجهها بإستناد رأسها علي ركبتيها ، لم تشغل حيزاً كبيراً لصغر جسدها فبدت له كطفلة صغيرة خائفه..
تنهد قبل ان يقول موجهاً حديثه اليها:
-احنا هنستنى هنا لغاية اما حد يجى.
عضت على شفتيها بقوة و هى تحكم ذراعيها حول ركبتيها و تسند رأسها على ركبتيها فلم يظهر وجهها ، لم تعلم بعد انها ايضاً بجانب خوفها من البحر او المياه الواسعه فهى تخشى الاماكن المغلقه التى يصعب فيها التنفس و تقل فيها نسبه الاكسجين الى ان تنتهى حياة الشخص الموجود بداخل هذا المكان ! ، ارعبتها الفكرة و هزت كيانها..
هل من الممكن ان تموت مختنقه لإنعدام الاكسجين تدريجياً ؟؟ ، شعرت بصداع رهيب و بحرارة تخرج من وجههـا الذى تحول من اللون الابيض المشرق الى الاحمر النارى ، تسارعت انفاسها فبدأ صوتها يعلو شهيقاً كان او زفيراً فإنتبه يوسف اليها ليضم حاجبيه بقلق و يتقدم نحوها ثم و فجــأة.. تنطفيء الانوار مجدداً..
صرخت سلمى بذعر ليصيح يوسف قائلا:
-اهدى ، اهدى يا بنت الناس انتى مش لوحدك انا معاكى! ..
****
كان ذلك الطفل الاحمق قد عاد و عبث مجدداً بمقابس الكهرباء عندما عاد اصدقائه للـ لعب ، و لكنه لم يخرج و ظل فى غرفه الحارس يتابع عبثه فينزل المقابس تارة و يرفعها تارة اخرى ، و فى مخيلته انه هكذا يفزع اصدقائه بالخارج ، صدق الطفل فى ظنونه ، فـ بالفعل ارعب قلباً و أخافه ،و لكن ليس من اصدقائه ، بل قلب سلمى التى ما تزال تصـرخ فى ذلك المصعد المعلق عاليـاً ..
****
لم يستطع يوسف إسكاتها فهبط ليصبح فى مستواها و حاول امساك اذرعها ليثبتها و لكن حركاتها اصبحت لا إراديه فشخص مثلها يخاف من ان يختنق فى اى لحظه و يفارق الحياة بالطبع كان ليفعل مثلهـا..
كبل يوسف ذراعيها وراء ظهرها لترتفع هى بجسدها بألم من قبضته فتنظر اليه لتجد رأسه تندفع نحوها لتصتدم بجبينها بقوة فتتلاشى الرؤية امامها..
اسندها يوسف مجدداً الى الجدار الجانبى فمالت رأسها على كتفها و مالت بعض من خصلات شعرها معها ، نظر اليها للحظات لتتحول ملامحـه لضيق بسبب شعوره و تفكيره ذاك ليبتعد عنها تماماً و يجلس مقابلها مستنداً برأسه علـي الجدار خلفه..
****
رن هاتف مريم لـتخرجه ثم تشير لصديقتها بإلتزام الصمت لتجيب بروتينيـه:
-الو ، السلام عليكم..
جاء صوت والداتها الغاضب ليفيقها من ثرثرتها المهدرة للوقت:
-انتوا كل دا فين يا مريم؟؟ ، ويوسف فين تلفونه مقفول.. عارفه لو كنتوا لسه منزلتوش من البيت ها..
شهقت مريم بصدمة لتصمت والدتها ثم تسمعها تقول فى عجلة:
-ماما بعد اذنك هقفل ثوانى و هتصل بيكى تانى.
-فى ايه ؟
-مفيش يا حبيبتى احنا فى الطريق بس ، بس لازم اقفل.. سلام هتصل بيكى تانى.
اغلقت مع والدتها لتودع صديقتها و تهرول الى الداخل ، تعجبت من تلاعب مصابيح الانارة و لكن لم تهتم ؛ فكل ما يشغلها هو كيف ستبرر ليوسف عن سبب تأخر تلك المدة الطويلة مع صديقتها..
همت بـ الضغط على زر المصعد الكهربائى و لكن توقفت فجأه ؛ فهى تعلم ان المصعد معطل و غير آمن ، زفرت قليلا و اتجهت الى الدرج الطويل و شرعت فى صعوده بسرعه..
تسائلت كيف صعد كلاً من يوسف و سلمى فهما بالطبع لا يعرفان بأمر ذلك المصعد..
لم تعرف الفتاة انهما قد ادركا حقاً ، بل و عاشا الامر فى الواقع زيادة للتأكيد! ..
وصلت مريم اخيراً الى طابق عمتها ، استندت بذراعها على الباب تلتقط انفاسها فـ الطابق مرتفع ،

بالتحديد يوجد فى الطابق التاسع!
زفرت مريم ثم اعتدلت و وضعت اصبعها على زر الجرس و لم ترفعه ، كانت وجنتيها متوردتين كمن كان يمارس تمارين رياضية شاقة للتو ، فُتح الباب لتظهر تلك السيدة المقعدة و على وجهها علامات الغضب من ذلك الطارق المزعج امام الباب ، و لكن تحولت ملامحها الى السعادة البالغة عندما رأت ابنة اخيها امامها:
-عمتو ازيك..
قالتها مريم و هى تلهث فضحكت تلك السيدة المدعوة بفريدة و حركت ذلك المقعد الحديدى بجهاز تحكم صغير مثبت على ذراع المقعد الايمن و هى تدعوها للدخول قائلة:
-حبيبة عمتو ، ايه السلم تعبك؟
دلفت مريم ثم انحنت قليلا و قبلت يد عمتها الحنون ثم اعتدلت و قالت:
-صلحوا الاسانسير بقى حرام كدا ، ايه يوسف مقالكيش حاجة عن سلم العذاب دا؟!
ضمت فريدة حاجبيها بتعجب ثم قالت:
-يوسف ؟! .. يوسف اخوكى؟ ، وهو ايه اللى هيجيبه هنا؟!
رفعت مريم حاجبيها بدهشة ثم قالت:
-نعم ؟ .. هما مجوش؟؟
-هما مين يا بنتى؟ ، و بعدين مش يوسف عايش بعيد .. هو رجع و لا ايه؟
حكت مريم مؤخرة رأسها ثم قالت بضجر:
-مهو مش معقول يكونوا لسه على السلم انا لسه طالعه حالا.
-اله ! .. هما مين دول يا بنتى فهمينى انا قلبى وجعنى.
نظرت اليها مريم بحيرة ثم قالت:
-سلامة قلبك يا عمتو .. انا هنزل تانى اشوفهم راحوا فين.
-طب ما تخليكى بدل ما تنزلى كل السلالم دى تانى و هو يجى براحته.
عبرت مريم مجدداً من الباب و هى تقول بضيق:
-استنى بس يا عمتو ، ساعه و هجيلك اما اشوف سى روميو راح فين..
نظرت مريم الى الدرج بضجر ثم شرعت فى هبوطه مجدداً..
لم تقابلهما فى طريقها فشعرت بالقلق ، وصلت الى الطابق السفلى و صدرها يعلو و يهبط ، لم تتوقف بل ركضت الى الخارج تتأكد من وجود سيارته بالخارج ، و بالفعل كانت موجوده ، إذن فهما بالداخل..
عادت مجدداً و هى تلهث ثم صعدت الدرج مجدداً لتتأكد إن كانا عند عمتها فريدة ، طابق وراء طابق و درج يتبعه درج الى ان وصلت الى عمتها و للأسف لم تجدهما ، العمارة مكونة من خمسة عشر طابقاً! ..
خُيل لها انهما من الممكن ان يكونا فوق سطح العمارة ليشاهدا القاهرة من الاعلى ، فيوسف لم يرها منذ فترة و بالطبع إستغل الفرصة ليرى المناظر الخلابة..
عاتبته قليلاً فى نفسها ثم استكملت الصعود لتصل لسطح البناية و كان فارغاً..
كادت ان تصرخ من الغيظ ؛ فعليها الان نزول درج خمسة عشر طابقاً لتصل للطابق السفلى.. مجدداً!
****
اصبح التنفس اصعب الان فزفر يوسف بقوة و هو ينزع جاكيته ثم فك اول ثلاث ازرار من قميصه ، تعجب من عدم استخدام احد للمصعد و لكن من المطمئن ان الانوار ثبتت و اصبح يرى امامه..
تعجب ايضا من عدم استعادة سلمى لوعيها فشعر بالقلق بالاضافة الى صعوبة التنفس و زيادة الحرارة بالمصعد..
نظر حوله يبحث عن اى شيء يساعده و لكن لم يجد اي شيء مفيد ؛ ما المنتظر من هذا المصعد المتهالك..
اقترب من سلمى بتمهل ثم رفع رأسها المائلة الى الجانب بحذر و قرب أذنه من شفتيها و ضربات قلبه تتسارع لسبب لا يعلمه ، إطمئن عندما تأكد من تنفسها ليتنهد براحه ، ضرب وجنتها برفق و هو ينادى بإسمها لترمش سلمى بأعينها مراراً..
****
وصلت مريم بعد عناء الى الطابق السفلى و هى تكاد تسقط من إرهاقها ، كانت اعينها تمتلىء بالدموع ..أين عساه يذهب ؟
استندت بذراعها على باب المصعد الكهربائى و مالت بجسدها لتتنفس بسرعه ..
شعر يوسف بوجود احدهم بالاسفل فأسرع و ترك سلمى التى افاقت للتو و هتف بلهفة و هو يقترب من الباب:
-حد هنااا .. يا عم عويس ، يا عم عويس بالله عليك احنا بنموت هنا..
ضمت مريم حاجبيها بتعجب ثم إعتدلت فى مكانها و وضعت يدها فى خصرها و هى تتلفت حولها ، خُيل لها انها سمعت صوت شقيقها يوسف!

تكرر صوته مجدداً ، لا هذه المرة هو ، هو يوسف ولكن اين ؟ صوته يأتى من .. من اعلى!
رفعت مريم رأسها و ابتلعت لعابها بقلق من ان يكون ظنها فى محله لتقول بصوت متحشرج:
-يوسف.. يوسف انت فين؟
أتاها صوته المرهق المختنق و رغم هذا يكسوه الغضب قائلا:
-انتى كل دا فين يا هانم ، الاسانسير وقف بينا.
شهقت مريم بقوة و وضعت كفيها على ثغرها من الصدمة ، إذن ما ظننته حقيقي ، لقد استخدما المصعد و علق بهما:
-انتى روحتى فين يا بنتى ، اخلصى شوفى حد بسرعة.
-يوسف .. يوسف انت بتعمل ايه عندك؟؟
عض يوسف على شفتيه بقوة و اشاح بوجهه ليقول بضيق:
-بشم هوا يا مريم.
و صمت لوهلة ثم صاح بغضب:
-هعمل ايه يعنى بقولك الاسانسير علق ، خليكى واقفة لحد ما نموت مخنوقين بقى.
تراجعت بفزع لتقول قبل ان تخرج ركضاً:
-لالالا اوعـي .. انا هشوف عم عويس.
التفت يوسف الى سلمى التى تفرك جبينها وتنظر اليه بتوعد ، نظر اليها ثم قال بصوت مرهق:
-مريم جت و هتتحل بإذن الله.
ضمت حاجبيها قليلا ثم نظرت حولها لتتذكر تلك الكارثة التى تحيطها فتشهق بذعر و كادت ان تصرخ و لكن قاطعها يوسف بحدة:
-ان طلعتى صوت تانى مهيبقاش عندى مانع انى اسكتك ، واظن انتى جربتى طريقتى.
وضعت كفها على ثغرها لتكتم صراخها و الدموع تتـلألأ بين جفنيها و هي تفرك جبينها بألم ليشيح يوسف بوجهه عنها و تظل هى تنظر اليه بضيـق و توعـد مهددة بإنتقامهـا ولكن بمجرد نجاتهمـا من تلك الكارثة الكبيـــره! ..

- زفرت سلمى بضيق و إختناق و هى تنظر الى يوسف الجالس مستنداً بظهره على الجدار و مغمض العينين ، و حبات العرق ترسم طريقها على وجهه ؛ فـالجو حار و خانق! ..
اطلقت سلمى زفيراً اخر طويلاً قبل ان تنطق بضجر:
-هى مريـم اتأخرت كدا ليه؟
فتح يوسف عينيه لينظر الى وجهها المرهق ثم يجيب:
-متقلقيش ، اكيد بتدور على البواب.
-كل دا ؟ هو مش المفروض ان عمو البواب يبقى موجود فى العماره على طول.
ذم يوسف شفتيه و رفع حاجبيه الكثيفين و هو ينظر الي سقف المصعد ثم نظر اليها ليقول بتهكم:
-عمو البواب ! .. لأ للأسف عمو البواب مش موجود دلوقتى معلش.
امتعض وجهها لسخريته لتقول دون تفكير مسبق:
-اصلا انت السبب فى الكارثة دى.
انتبه يوسف لما تقول ليبعد رأسه المستندة علي جدار المصعد و هو يضم حاجبيه بتعجب قائلا:
-ازاى يعنى و انـا اللى عطلته؟!
تابعت متجاهلة اياه لتحرك يديها فى الهواء بعصبية:
-لو مكنتش خلتنى اركب الاسانسير دا معاك كنت هبقى دلوقتى تحت مع مريم و انت هنا لوحدك.
نظر اليها قليلا ثم عاد برأسه للخلف لينفجر ضاحكاً ، ضمت سلمى حاجبيها بضيق ؛ لا تستطيع معرفة سبب ذلك الضحك ، أهو سخرية ام ماذا ؟!
لم تتعب نفسها بالتفكير فقد توقف عن الضحك لينظر اليها و يتحرك بجسده ليجلس معتدلاً ، ظلت نظراته حادة و قد عادت الجدية المتهكمة تكسو وجهه:
-مش فاكر انى شديتك او جبتك معايا غصب عنك.
لم تجبه ، بل عقدت ذراعيها امام صدرها بضيق و هى تنظر حولها بقلق خفى ، طالت مدة مكوثهما هنا ، أيمكن ان تكون نسبة خروجهما مستحيلة؟.. أيمكن ان تختنق اكثر الى ان تفارق الحياة ؟ أيمكن ان تفارق حياتها و هى لا تعلم شيئا عن نفسها غير الاسم ؟.
عادت مخاوفها تترنح امامها بشكل مرعب بالنسبة لها لتعود و تنظر الى يوسف الذى اغمض عينيه مجدداً لتقول بنبرة خائفة:
-هو احنا ممكن نموت هنا ؟
زفر بضيق من تلك الفتاة المزعجة ، ألا يكفى ذلك الوضع ؟ !
نظر اليها بتمهل ليصتدم بالدموع التى تملأ اعينها الخائفه ، ظل صامتاً للحظات و هو ينظر اليها الى ان سأمت من صمته لتتمتم بحنق خافت و هى تشيح بوجهها عنه:

-براحتك..
ذم شفتيه بتعجب منها ، أحياناً تشبه الاطفال فى برائتها و هدوئها و احيانا تتحول لتصبح مشاغبه!
أدرك خوفها ليبتسم ابتسامة جانبية ثم يقول:
-ايه انتى خايفة؟!
نظرت اليه بطرف عينيها ثم ذمت شفتيها بسخرية لتنظر جانباً مجدداً:
-عايز تفهمنى انك مش خايف من الموت.
-و هخاف ليه؟ اظن انا عشت كتير و معنديش حد غالى فى الدنيا عشان يوحشني .. اخاف ليه؟!
-معندكش حد غالى؟ .. طب و مريم اختك.
استند برأسه مجدداً على الجدار ثم قال ببساطه:
-مريم مسيرها تتجوز ..
صمتت سلمى قليلا ثم قالت بتمهل متسائله:
-يعنى مش نفسك تسلمها بإيدك لعريسها؟
ارتسمت ابتسامة عذبة على شفتيه ثم نظر اليها رافعاً احد حاجبيه و قال متجاهلاً إجابة سؤالها:
-طب و انتى خايفه من ايه ؟
صمتت سلمى قليلاً فـلوي يوسف فمـه بتهكم ثم تابع قائلا:
-اظن واحده زيك مش فاكره اى حاجة عن نفسها ، اكيد مش هيبقى ليها حد هى بتحبه ، او بمعنى اصح..مش هتبقى فاكرة.
شعور جامح تملكها لصفعه ، تريد صفعه الآن و بقوة لـتلك الكلمات السامة ، صمتت للحظات تحاول السيطرة على نبرة صوتها لـترفع بصرهـا و تنظر لعينيه مباشرة ثم تقول بنبرة حادة:
-والله انت قلت سبب من الاسباب اللى تخلينى اتمسك بحياتى اكتر.
ضم يوسف حاجبيه و هو يراجع ما قاله منذ لحظات ثم نطق و هو يمط شفتيه بلا مبالة:
-و ايه هو ؟
صمتت قليلاً تنظر الى ملامح السخرية التى تغط على وجهه لتقول بجدية:
-هو انى افتكر انا مين ، افتكر حياتى و ذكرياتى افتكر اهلى ، ارجع تانى اعيش فى بيتى.
"ارجع تانى اعيش فى بيتى "
تردد صدى تلك الكلمات على مسامعه لمرات ، لا يدرى لماذا شعر بالضيق ، هم بطرح سؤاله الذى تعمد بدأ الحديث فى ذلك النمط من اجله ليقول بنبرة لم تفهمها:
-سلمـى انتى متجوزه ؟
-نعـم ؟؟
أجابت بدهشة فكاد يوسف ان ينطق و لكن اوقفه صوت شقيقته تناديه قائلة:
-يوسف ..يا يوسف انت لسه فوق ؟
اقترب يوسف من الباب و هتف قائلا بإنزعاج:
-مريم مش وقت ذكائك هروح فين يعني ، انجزى عم عويس جه ؟؟
-اه جاى اهو .. انتوا كويسين؟
نظر يوسف الى سلمى ليجدها شاردة و هي تضم حاجبيها ، أدرك انها منشغلة بالتفكير فيما قال فعاد ليحادث شقيقته:
-احنا كويسين يا مريم.. بس انجزوا انتوا.
حضر العم عويس و هو يمسك بطرف جلبابه ليقترب من باب المصعد و هو يقول مرحباً:
-يا مرحب يا مرحب ، منور يا يوسف بيه ، منور يا باشا.
-مهو واضح فعلا انى منور ، اهو حتى شوف الاسانسير من كتر النور عطل.
قالها يوسف بسخرية متضايقه و صمت للحظات ثم هتف بحدة:
-طب بالله عليك انت شايف ان الوضع دا مريح لينا دلوقتى عشان ترغي؟؟
-ثوانى يا باشا انا اتصلت بالصيانة و على وصول.
-يعنى كنتوا مستنين حد يتحبس هنا عشان تصلحوه؟!
-والله ما بإيدى يا بيه دول ناس جلده اصحاب العمارة دى ، بقالى اسبوعين بشحت منهم الجنيه عشان نصلح الاسانسير و..
ليهتف يوسف مقاطعاً بغضب:
-استعجل الصيانة يا عم عويس النفس بقى صعب..
اقتربت مريم من الباب ثم قالت بقلق:
-يوسف انت كويس يا حبيبى ، سلمى كويسة؟؟
التفت يوسف الى سلمى مجدداً ليجدها مغمضة العينين و حبات العرق تملأ وجهها الذى تحول الى اللون الوردى ، دق قلبه بشدة و ابتلع لعابه بقلق ؛ التنفس صعب و الاجواء خانقة فالمصعد ليس بالحجم الواسع

و لا توجد اى فتحات للتهويه..
اقترب يوسف منها بسرعة و هو يهتف بإضطراب:
-بسرعة يا مريم بالله عليكى.
ما ان امسك بذراعها و حركها قليلا حتى مال جسدها مع حركته ، صدم يوسف من مظهرها ، امسكها من كلتا ذراعيها ليبعدها عن الجدار فمالت رأسها للخلف بإستسلام و كأنها جسد ميت:
-سلمى .. سلمـى.
لم تجب الا بأنين خافت و هي تقلص ملامح وجهها بإرهاق فمددها يوسف على الارض و بدأ فى التهوية عليها ، كان قلق من ان يصيبها ضُر او تختنق اكثر..
فتحت سلمى اعينها ببطء لتتساقط دموع كانت متحجرة فى عينيها ، نظرت الى يوسف و تأملت ملامحه القلقة المضطربة لتنطق بصعوبة بالغة:
-بموت خلاص مشـ ..مش قادرة.
تابعت النظر اليه الى ان اغمضت عينيها تماما..
خفق قلبه هلعاً ، نادى بإسمها مراراً بهلع و لكن لم تجب ، هل اختنقت؟
اقترب من وجهها لينقذها بتنفس إصطناعي دون تفكير و لو للحظة ، و بعد دفعات هواء متتالية أطال في الأخيرة ثم ابتعد عن فمها بتمهل و هو ينظر الى وجهها ، شعر بأنفاسها تلفح وجهه فتنفس الصعداء ثم تراجع و استند بظهره علي الجدار ليلتقط هو أنافسه بصعوبه ، تحرك و اقترب مجدداً من الباب ليهتف بصوت مرهق بشده:
-هاا يا مريم؟!
اتاه صوت شقيقته قائلا بتفائل:
-خلاص يا يوسف العمال جم و بيشوفوا العطل اهو.. انتوا عاملين ايه ؟
-هنعمل ايه يعنى .. سلمى اغمى عليها.
-خلى بالك منها يا يوسف عشان خاطرى.
لم يجب بل عاد ليجلس مجدداً و هو يجاهد لكى يتنفس..
مر الوقت الى ان بدأ المصعد بالتحرك مجدداً للأعلى فاقترب يوسف من سلمى و رفع رأسها عن الارض ثم حملها..
وقف ينتظر وصولهم و هو يشعر بألم فى كل خلية بجسده و رغم هذا يستطيع حملها ببساطة ، نظر الى وجهها ثم اقترب منه مجدداً ليشعر بأنفاسها تلفح وجهه فإطمأن ثم اعتدل مجدداً..
فُتح باب المصعد فى الطابق الذى تسكن به عمته فخرج سريعاً ليقابله الهواء البارد المنعش ، ابعد رأس سلمى قليلاً عن كتفه لتستطيع التنفس هى الاخرى ، فى نفس التوقيت كانت مريم قد وصلت اليهم عن طريق الدرج:
-انتوا كويسين.
قالتها و هى تلهث فنظر اليها يوسف بضيق ثم اشار الى المصعد برأسه و قال:
-اتفضلى هاتى الجاكيت و تعالى.
-حاضر.
اتجه يوسف الى باب عمته و انتظر الى ان جاءت مريم لكى تدق الجرس:
-هى مالها.
قالتها مريم و هى تتفحص وجه سلمى المستكين على صدره ليبتعد يوسف عن يدها و يقول بحدة:
-مغمى عليها.
تعجبت من رد فعله و كادت ان تنطق و لكن فتح الباب ليظهر وجه عمته فريدة القلق:
-ايه يا مريـ...
قطعت حديثها بصدمة و هى تنظر الى يوسف و الى تلك الحسناء التى ترقد بين ذراعيه لتشهق بصدمة اكبر:
-مين دى يا ولاد و ايه اللى حصلها.
دلف يوسف بصمت فلم يعد قادراً على الوقوف ، وضع سلمى برفق على الاريكة ثم القى بجسده على الاريكة المقابلة لها بينما قصت مريم لعمتها المصدومة بإختصار حكاية تلك الفتاة و ما حدث لهما اليوم ..
أشفقت فريده عليها ثم نظرت اليها ثم الى يوسف و حركت مقعدها الكهربائى بجهاز التحكم لتتجه اليه ثم تتوقف بجانب رأسه و تملس على شعره بحنان و هي تقول:
-ازيك يا يوسف يابنى؟
امسك يوسف بكف يدها ثم قربه من شفتيه ليطبع قبله عليه ثم يقول بتعب:
-الحمد لله يا عمتو ، اخبار صحتك ايه؟؟
ابتسمت فريده بحنان ثم ربتت على كتفه و قالت:
-تمام يابنى تمام.

قاطعتهما مريم بتحذير قائله:
-يوسف .. ماما اتصلت و قالت ان تلفونك مقفول و ان احنا لازم نروحلها و إلخ إلخ.
نظر اليها ثم اغمض عينيه مجدداً لتنظر فريدة اليه بحنان الام ثم توجه حديثها لمريم بجديه:
-اسمعى يا مريم .. انتوا هتفضلوا معايا لحد ما تفوقوا و تتغدوا هنا .. حتى الغلبانه دى تشم نفسها .. و بعد كدا ابقوا روحوا لـوفاء.
اقتربت منها مريم و حركت مقعدها قائلة بمزاح:
-متعصبة عليا ليه يا فيرو تعالى نطبخ سوا ونسيب روميو و جوليت الميتين دول مع بعض.
ضحكت فريدة ثم نظرت الى يوسف بدهشة و قالت بسعادة:
-بجد يوسف ؟ انت بتحبها ؟؟
أدار يوسف عينيه بملل و هو يزفر بضجر و يسحب وسادة صغير و يضعها فوق وجهه لتضحك كلتاهما ثم تحرك مريم مقعدها نحو المطبخ..
ازاح يوسف الوسادة عن وجهه قليلاً لينظر الى سلمى التى بدأت تفيق..
فتحت عينيها ثم تلملمت و هى تنظر جانباً لتجده ينظر اليها ، ظنت انها تحلم فـأغمضت عينيها مرات لينتصب يوسف جالساً و ما يزال ينظر اليها..
ادركت انها لا تحلم ، نهضت مفزوعة و هى تنظر حولها ، اين جدران المصعد المشئوم؟ ..
نظرت مجدداً الى يوسف لتضم حاجبيها بدهشة ، كانت نظراته لها مختلفة ، بمعنى اوضح دافئة و محتوية لها عكس ما عرفته عنه تماماً ، اقشعر جسدها و ارتبكت من نظراته الثابتة و الغريبة لتطرح سؤالاً يخفى ارتباكها:
-احنا فين؟
صمت يوسف للحظات ثم اجاب بهدوء:
-دا بيت عمتى .. هنعد هنا لحد الغدا و بعدين نروح للبيت.
-بيتنا آآآ قصدى بيتك.
قالتها بإحراج لإرتباكها فنظر يوسف اليها للحظات صمت اخرى ثم اومأ برأسه و أضاف:
-حمد الله على السلامة.
-احنا خرجنا ازاى صح .. انا اخرج حاجة فاكراها انى مكنتش قادرة اتنفس و بعد كدا مش فاكرة.
رفع يوسف احد حاجبيه ثم نظر اليها بطرف عينه:
-يعنى مش فاكرة ايه اللى حصل بعد كدا؟!
ضمت سلمى حاجبيها تحاول التذكر و هى تقول:
-لأ مش فاكرة انا كنـ..
قطعت كلامها عندما تذكرت ما حدث ، تذكرته عندما مال عليها و اقترب من وجهها ليجعلها تتنفس اصطناعياً ، توردت وجنتها بشدة و هى تنظر اليه بصدمة لتقابلها ابتسامته الصغيرة الخبيثة قبل ان ينهض من مكانه و هو يضحك بخفة في خبث و يدلف الى احدى الغرف!! ..

- ظلت سلمى جالسة مكانها للحظات تنظر بصدمة الى الغرفة التى دلفها يوسف ، ابتلعت لعابها بصعوبة و هى تشعر بسخونة وجهها و إحمراره خجلاً..

قاطعها خروج مريم من المطبخ و هى تمسك سكيناً فى يدها و ترفع اكمام قميصها:
-سوسو حمد الله على سلامتك ، قلقتينا عليكى يا بنتى.
لم تجب فنظرت اليها مريم بتعجب لتلاحظ احمرار وجهها فتقترب منها و تمسك بوجهها و هي تقول:
-كل دا عشان اتحبستى فى الاسانسير شوية ، مالك يا بت؟!
-مـ مفيش.. مفيش حاجة.
-طب قومى معايا يلا اغسلى وشك كدا و فوقى.
-حاضر.
اتجهتا الى المرحاض لتغسل سلمى وجهها ثم خرجتا ليقابلا يوسف فى وجهيهما:
-ايه فى ايه؟
قالها يوسف و هو ينظر الى سلمى فابتسمت مريم ثم قالت:
-مفيش سلمى كانت بتغسل وشها.
-آه .. طيب.
نظرت مريم الي كليهما ثم فكرت في الرحيل لتمسك سلمى بذراعها فتفلت مريم منها و تتجه الى المطبخ سريعاً! ..
وقفت هى مرتبكة امام يوسف ، كان يغطى المخرج بجسده بعد خروج شقيقته فلم تستطع العبور ، و لن تجرؤ على النظر اليه بسبب خجلها الشديد منه! ..
أما هو فظل واقفاً و كأنه مستمتع بخجلها و إرتباكها و حمرة وجنتيها فلم يتحرك ، ظل ينظر اليها بصمت و نظراته ليست مألوفة ابداً بالنسبة لهـا ، كان يخشى حقاً من ان يصيبها شيء فى المصعد ..

مرت لحظات صمت اخرى فقرر يوسف الحديث ففتح فمه لينطق بكلماته و لكن قاطعه صوت شقيقته يأتى من خلفه قائلا:
-يلا يا جماعة مش وقته ، تعالى يا سلمى يلا.
نظر اليها يوسف بضيق ثم عاد و نظر الي سلمى ثم تنحى جانباَ ليفسح لها الطريق لتعبر هى مسرعة و تدلف مع مريم الى المطبخ:
-دى عمتو فريدة يا سلمى.
قالتها مريم فنظرت سلمى الى تلك السيدة المقعدة ، وجهها اثر فيه الدهر و رسم تجاعيده عليه بمهارة و دقة بالغين ، اقتربت سلمى منها ثم انحنت لتسلم عليها فربتت فريدة على كتفها قائلة:
-حمد الله على السلامة يا بنتى ، الحمد لله انها جت سليمه.
ابتسمت سلمى ثم قالت:
-الله يسلمك يا طنط ، اتشرفت بمعرفتك.
-حبيبتى قوليلى فيرو او عمتو زى العيال دى.
-يعنى انا عيلة يا عمتو؟!
قالتها مريم بحزن مصطنع فضحكت كلاً منهما ثم قالت فريدة:
-انتى حبيبتى يا مريومتى ، يلا بقى كدا هنتأخر عايزين نتغدا و نعد مع بعض شويه.
شرع الثلاثة فى إعداد الطعام و هن يتجاذبن اطراف الحديث ، بينما جلس يوسف يشاهد التلفاز بضجر. ..
خرجت مريم تجهز المائدة و من خلفها سلمى تمسك بالاطباق و تضعها مكانها..
ترأس يوسف المائدة و على الجانبين جلست كل من فريدة و مريم و جلست سلمى بجانب فريدة..
لم تخلو الجلسة من مداعبات مريم او من نظرات يوسف و سلمى و التى كانت تلاحظها فريدة!
انهوا تناول طعامهم و تولت الفتاتان تنظيف الصحون بينما جلست فريدة مع يوسف ابن اخيها يشاهدان التلفاز..
اقتربت مريم من سلمى و هى تنظف الصحون:
-بت يا سلمى.
-مممم..
-انتى مالك انتى و يوسف ، مش عجبينى هو حصل حاجة بينكم فى الاسانسير ؟
ارتبكت سلمى قليلا و رسمت ابتسامة متوتره و هي تقول:
-هو يعنى هيحصل ايه .. انا كنت مغمى عليا اصلا يعنى مصحتش غير هنا ..اصلا يعنى.
نظرت اليها مريم ثم قالت ضاحكة:
-انا عارفه اخويا ، عذراكى يا ستى عذراكى.
-بقولك ايه ، اطلعى شوفيهم يشربوا ايه.
نظرت اليها مريم بطرف عينيها مع ابتسامة خبيثة ثم قالت:
-طب ما تطلعى انتى يا مزه.
-يوووه بقى علي الفاظك ، اطلعى يا مريم متبقيش زى اخوكى.
امسكتها مريم من ذراعيها فجأة و هى تقول بخبث:
-ها ابقى زيه ازاى ، هو عمل ايه و لا قالك ايه اعترفي ها ها ها.
تخلصت سلمى من قبضتها و نظرت اليها بنفاذ صبر ثم قالت:
-يا بت احترمى نفسك و روحى يلا.
رفعت مريم احد حاجبيها و لوت فمها ثم قالت:
-ماشي .. زى ما قلتلك انتى هتقيمى معايا فى الاوضة .. اما نشوف اخرتها معاكى يا سلوم.
خرجت مريم اليهم ثم عادت بعد لحظات:
-عمتو مش عايزة حاجه ، بس يوسف عايز قهوة مظبوطة.. شكلوا عايز يدوقها من ايدك ايوه يا عم.
لكزتها سلمى فى ذراعها و نظرت اليها بحدة لتخفى خجلها قائلة:
-على فكرة بقى مفيش حاجة وآآ ، و بطلى بقى عشان مبحبش الحركات دى .. آآنا فى ايه و لا فى ايه..
صمتت مريم قليلا ثم تنهدت:
-دماغك انشف من دماغه .. مبروك عليكوا.
نظرت اليها سلمى بضيق ثم شرعت بتحضير القهوة ليوسف ، خرجت مريم لتجلس مع يوسف بينما ظلت سلمى فى المطبخ ، حضرت سلمى فنجان و صبت فيه القهوة ثم حملته على صينية صغيرة و خرجت..
نظر اليها يوسف و تابعها بعينيه و هى تضع الصينية امامه على طاولة خشبية صلبة ثم تتمتم:
-اتفضل القهوه.
نظرت اليها فريدة بإبتسامة ثم نظرت الى يوسف و قالت بنبرة ذات مغزي:
-قمر و الله يا بنتى ، ربنا يرزقك بإبن الحلال.
-شكراَ يا طنط الله يخليكى.

-احنا قلنا ايه..
ابتسمت سلمى بخجل ثم قالت:
-شكرا يا عمتو.
ابتسمت فريدة بحنان ثم عادت لتتابع التلفاز ، مال يوسف بجسده ليمسك بقدح القهوة الساخن فإنتبهت اليه سلمى و تابعته و هو يقربه من شفتيه ثم يرتشف منه قليلاً و يصمت دون ان يبتلعه ، نظر يوسف اليها ليجدها تنظر اليه بترقب ثم تعود بسرعة للنظر الى التلفاز ، ابتلع ما تبقى فى حلقه بصعوبه ثم و بكل هدوء وضع قدح القهوة مكانه فنظرت اليه مريم بتعجب ثم قالت:
-ايه يا يوسف القهوه مش عجباك و لا ايه؟
لم يجب فنظرت مريم الى سلمى ثم تابعت:
-هو فى ايه؟
مطت سلمى شفتيها ببراءة فتناولت مريم الفنجان و ارتشفت منه قليلاً ليمتعض وجهها بسرعة و تركض الى المرحاض لتبسق ما تناولته..
نظرت فريدة الـي يوسف بتعجب فإبتسم يوسف بمرارة لتمسك سلمى بقدح القهوه و تقربه من انفها ثم تقول:
-هى الريحه قهوه ، الطعم بقى ايه ؟!
كادت ان تتذوقه و لكن منعتها مريم التى خرجت للتو و هي تهتف:
-اوعى يا بنتى دا تسمم ، انتى حطيتى ايه فيها؟ هى دى قهوه مظبوطة دى؟؟
-يعنى كل دا عشان ناقصه سكر مثلا؟!
سالت سلمي بحزن فنظرت اليها فريدة ثم قالت:
-انتى عملتيها ازاى يا سلمى ؟!
مطت سلمى شفتيها ثم قالت:
-جبت القهوه و حطيتها على النار مع مايه و بعدين جهزت الفنجان .. آه ، و حطيت من السكر اللى جنب الميكروويف.
ابتسمت فريدة مجبره ثم قالت بهدوء:
-والله .. من السكر اللى جنب الميكروويف ، مممم دا ملح ناعم يا بنتى.
رفعت سلمى حاجبيها بدهشة ثم نظرت الى يوسف الذى نظر اليها بطرف عينيه ثم نظرت الى مريم التى ما تزال تنظف فمها بمنشفة صغيرة ثم عادت لتنظر ارضـاَ و تقول:
-سورى يا جماعة..
نهض يوسف ثم انحنى ليقبل يد عمته و اعتدل قائلا:
-احنا هنمشى احنا بقى يا عمتو.
اصيبت فريدة بالحزن لمغادرتهم لتقول بخفوت:
-على راحتك يابنى.
نظر اليها يوسف ثم جثى على ركبته امامها و تابع:
-هجيلك تانى ، وعد قبل ما امشى هجيلك.
رسمت فريده ابتسامة صغيرة علي شفتيها ثم ربتت على كتفه و قالت:
-وعد يا حضرة الظابط؟
ضحك يوسف بخفة ثم وقف و قال:
-وعد يا ست الكل.. يلا مع السلامة.
خرجوا من عندها و سلمى تمسك بذراع مريم و تشعر بحرج كبير منهما ، سكر و ملح كيف لم تستطع التفريق بينهما .. أيوضع الملح مع القهوه . !!
وصلوا الى المصعد مجدداَ فهتفت سلمى لا إرادياَ:
-تانـــي لاااااااااا..
نظر اليها كلاً من مريم و يوسف لتتنحنح سلمى بحرج ثم تتمتم:
-آآآ .. انا هنزل انا السلالم..
ضمت مريم حاجبيها بإنزعاج ثم اجابت:
-لا معلش انا عشان ادور عليكوا طلعت و نزلت السلالم يجى عشر مرات ، انا مش هقدر..
-هنزل انا لوحدى بس مش هدخل البتاع دا تانى.
فُتح باب المصعد لتصعد مريم و تنظر اليهما لينظر يوسف الى سلمى ثم ينظر الى مريم:
-خلاص يا مريم اسبقينا انتى و احنا هننزل السلم.
-ربنا معاكوا بقى.
قالتها مريـم ثم هبطت بالمصعد فإتجهت سلمى و خلفها يوسف الى الدرج ، نظرت سلمى الى الاسفل لتصتدم بكم الطوابق التى عليهم نزولها طابق وراء طابق..

شرع الإثنان فى النزول و سلمى تنظر ارضا ، حاولت ان تقفز سلمتين و بالفعل قفزت فنظر اليها يوسف ثم ذم شفتيه و تابع النزول ، تابعت هى القفز لتسرع من الهبوط فتحول الامر الى لعبة مرحه ، تجاهلت سلمة ثم قفزت من اخرى ثم توقفت عند واحدة ثم قفزت بقدم واحدة رافعةَ الاخرى حتى نسيت ان يوسف خلفها! ..
تابعت على هذا النحو الى ان وصلت لسلمة مكسورة من الجانب فلم تلحظها و تابعت القفز بخفة الى ان وصلت اليها فهوت قدمها و كادت ان تسقطت و لكن يد يوسف كانت الاسرع لتلتف حول خصرها من خلفها و يجذبها منه نحوه ليقف الاثنان على سلمة واحدة و هي ملتصقه به..
ازاحت سلمى ذراعه عنها بإرتباك فتركها لتلتفت اليه لتصتدم بالمسافة المنعدمة بينهما –لكونهما الأثنان علي سلمة واحده– فتراجع بسرعة ليجذبها يوسف مجدداً و هو يقول:
-حاسبى السلم ها..
لم تعطته فرصة بل ابتعدت بجسدها عنه لتجذبه هو ايضاً معها و يسقط الاثنان امام احد الابواب..
نظر يوسف الى سلمى التى تحاول النهوض و إبعاده عنها ، تأمل ملامحها و شعرها المبعثر على وجهها –الاحمر من شدة خجلها– ليغطى جزءاً من عينها اليسرى ، نظرت اليه بخجل شديد و هى لا تستطيع إبعاد ثقل جسده عنها لتهتف بصوت مبحوح:
-لو سمحت!
انتبه لصوتها ليستند بذراعيه بجانب رأسها ثم يرتفع و ينهض لتنهض هى بسرعة و تعيد ترتيب شعرها بإرتباك ، تابعها يوسف الى ان انتهت و كاد ينطق و لكن قاطعه خروج رأس احد الاطفال من الباب و هو يقول ضاحكاً ببلاهه:
-شوفتكو يا عمـ..
نظر اليه يوسف شزرا ثم مد كفه لرأس الصبي و دفعه ليسقط داخل منزله مجدداً و يقطع جملته ، عاد يوسف لينظر اليها و يتابع:
-اظن دلوقتى نهدي شوية و نبطل لعب على السلالم.
لم تجب و انشغلت بتنظيف ملابسها ثم سارت لتكمل الهبوط بحذر بالغ! ..
****
نظرت مريم الى الساعة فى هاتفها و تفقدت الدرج للمرة الثانية لتجدهما اخيراً لتهتف بضجر:
-اخيرا جيتوا.. يلا ماما بتتصل من ساعتها و انا مش عايزه ارد..
-طيب تعالوا يلا.
قالها يوسف ثم اتجه الى سيارته فنظرت مريم الى سلمى ثم قالت:
-مالك؟
لتجيب سلمي بإرهاق:
-انتوا بتطلعوا السلم دا ازاى.. تعبت.
-طب تعالى يا ملح يلا آآقصدى يا سلمى.
نظرت اليه سلمى بعصبية طفولية و هي تصيح:
-على فكرة انا بعرف اعمل كل حاجة..
-صـــــادقة ، صادقة يا حبيبتى صادقة.
-يوووه بقى.
صعدا الـي السيارة مجدداً لينطلق يوسف متجهاً الى منزل والديه..
ظل الصمت مخيماً عليهم و يوسف ينظر الى سلمى عبر المرآة ، لا يستطيع الحكم على مشاعره الان و لكن هو متأكد ان تلك الفتاة حركت به شيئاً و أنارته ، شيئاً كان يخفق بطبيعية و لكن بجانبها يصاب بالجنون ، شيئاً يخاف منه و لا يتعامل به بحكم عمله ، شيئا يدعى..القلب!
اوقف السيارة امام فيلا فخمة و ثمينة ، ارتجلت مع مريم من السيارة لتتأمل سلمى الفيلا من الخارج بإندهاش فإبتسمت مريم و قالت:
-عجبتك فيلتنا!
نظرت اليها سلمى بإبتسامه ثم اومأت برأسها:
-ما شاء الله عليها جميلة.
تابعت تأملها مجدداً بدهشة و إعجاب ، يحيط الفيلا سور مرتفع نسبياً مطلي باللون الابيض النقى ، بوابة ذهبية اللون مزخرفة برقة تظهر الحديقة من خلفها..
فتحت البوابة ليدلف يوسف بسيارته و تدلف الفتاتان خلفه ليلقى عليهم الحارس التحية و تتابع سلمى تأملاتها..
الحديقة واسعة و بها انواع مختلفة من الزهور ، الاشجار مقصوصة بعنايه و ايدى محترفة لتظهر جميلة اكثر و متناسقه ، نافورة بديعة تتوسط الحديقة و العصافير تغرد حولها و تستقى من الماء ثم تحلق لتقف على غصن احد الاشجار العالية..

اما عن الفيلا فكانت ايضا باللون الابيض و النوافذ مطعمة باللون الذهبى اما عن مدخلها فكان الباب باللون البنى و المقابض كذهب لامع و ثمين! ..
رن يوسف الجرس مرة واحدة ثم وقف لتفتح له الخادمة ثم تفسح له المجال بإحترام ليعبر و هى تقول مرحبة:
-اهلا و سهلا يوسف بيه.
دلف يوسف و خلفه الفتاتان لتغلق الخادمة الباب مجدداً ثم تقول بلطف:
-أحضر الغدا يا فندم ؟
اجاب يوسف بإقتضاب:
-لا شكراً .. وفاء هانم فين ؟
-فوق فى اوضتها يا بيه ، تحب ابلغها بوجود حضرتك؟
قاطعهما صوت وقع اقدام يهبط الدرج لينظر الجميع الى تلك السيدة ذات الملابس الكلاسيكيه الراقيه و المظهر المهيب ، ادركت سلمى انها والدته المدعوة بوفاء..
ابتلعت لعابها بقلق فملامحها لا تبشر ابداً ، لمريم كل الحق في الخوف منها و ليوسف كل الحق في تلبية اوامرها فوراً ، فملامحها قاسية و خطاها ثابتة ، مستقيمة الظهر و رافعة وجهها بكبرياء و تسلط ، توقفت عند اخر الدرج ليقترب منها يوسف و يقبل يدها و هى ما تزال ثابتة تنظر الى سلمى بحدة فأمسكت سلمى بذراع مريم لتربت مريم على يدها و تهمس بأسي:
-ربنا يرحمك.. هتوحشينى! ..
نظرت اليها سلمى بدهشة فتركتها مريم و اقتربت من والدتها و قبلت يدها ثم قالت:
-ازيك يا ماما.
لم تحد وفاء ببصرها عن سلمى ، كانت تتفحصها بتعالى و كأنهما على عداء مسبق ..
نظرت اليها من أعلى رأسها حتى اسفل قدميها ثم نظرت الى يوسف و على وجهها علامات الاشمئزاز لتقول بنبرة حادة:
-هى دى ؟
نظر يوسف الى سلمى ثم عاد لينظر الى والدته و يبتلع لعابه –بقلق من توبيخها لسلمى– ثم قال:
-ايوه هى .. سلمى يا امى...

- -ايوه هي.. سلمى يا امى.

نطق بها يوسف بقلق فنظرت وفاء الى سلمى:
-و انتى بقى ، تبقى بنت مين ؟!
تنحنحت سلمى ثم نظرت الى مريم لا تدرى ماذا تقول فذاكرتها ناصعة البياض فى اى شيء يتعلق بماضيها المجهول:
-فى الحقيقة انا آآآ..
أنقذها يوسف بسرعة بقوله الجاد:
-اتفضلى معايا يا ماما و انا هشرحلك الوضع.
نظرت اليه وفاء بصرامة ثم قالت بعتاب:
-وضع ؟ وضع ايه يا حضرة الظابط المحترم ، دى اخرتها يا يوسف ، اخرتها انك تـ..
قاطعها يوسف بحدة قائلا:
-ماما .. من فضلك متحكميش على حاجة قبل ما تعرفى كويس ايه هى.
صمتت والدته ثم القت نظرة نارية على سلمى قبل ان تذهب الى احدى الغرف فيتبعها يوسف دون ان يتحدث! ..
اقتربت مريم من سلمى التى ما زالت مصدومة مما حدث ثم قالت بحرج:
-احم آآ .. سيمو تعالى اوريكى الاوضه بتاعتى.
نظرت اليها سلمى ثم قالت بدهشة:
-هو ايه اللى حصل ، مامتك مالها ؟!
ضمت مريم حاجبيها و هى تشعر بحرج من تصرف والدتها ثم أجابت بصوت خفيض و حذر:
-بصى هى ماما جاده شويه ، شويتين الحقيقه ، فأحسن للكل تجنبيها خالص .. ماشى؟
-طب انا عملتلها ايه طيب ؟
عضت مريم على شفتها السفلى و هزت رأسها نافيه و هي تقول:
-صدقينى كدا احسن ليكى ، انا ماشيه بالمبدأ دا ، تجنبى تسلمى .. ماما مفكره ان يوسف اتجوز او الله اعلم هى ايه اللى فى دماغها .. يوسف هيفهمها .. تعالى معايا بس.
جذبتها مريم من ذراعها وصعدا الدرج ، مرا بجانب غرفة رئيسية بابها مفتوح جزئياً ليسمعا صوتاً رجولياً يقول:
-مريم .. انتى جيتى ؟

توقفت الفتاتان ما إن سمعا الصوت ثم تقدمت مريم لتدلف من الباب:
-ايوه يا بابتى جيت ، و سلمى جت معايا.
-طب دخليها يا بنتى ، هتفضل بره!
خرجت مريم لتحضرها فدلفت سلمى بحرج و هى تنظر ارضاً ، رفعت عينيها بتمهل لتجد ذلك الرجل ممدداً على الفراش و مدثراً بالغطاء و يبدو انه مصاب بنزلة برد شديده..
انارت مريم الانوار لتظهر ملامح الرجل امامها ، رفعت حاجبيها بدهشة فلولا الشعيرات البيضاء التى تخللت بين خصلات شعره فى مناطق متفرقة لأقسمت ان الممدد امامها هو يوسف ، الشبه مبالغ فيه بينهما فها هى الاعين الزرقاء و الشعر البنى الكثيف و الملامح الوسيمة ذاتها ، الا انه قد انهكه المرض:
-ازيك يا بنتى؟
افاقت على صوته ليقشعر بدنها و ترتبك فيبتسم أحمد قائلا بلطف:
-عارف انتي بتفكرى فايه .. ابنى بقى لازم يبقى شبهى فى كل حاجة.
اكتست وجنتيها بحمرة الخجل لتتمتم بخفوت:
-الحمد لله يا عمو تمام.
اقتربت مريم من والدها و قبلت كف يده ثم جبينه قبل ان تقول:
-ازيك يا بابا وحشتنى.
-انتى كمان يا حبيبتى.
حاول النهوض فساعدته مريم و وضعت وسادة خلف ظهره لينظر هو الى سلمى ليراها بوضوح:
-تعالى يا بنتى واقفه ليه .. معلش بقى العيب على يوسف ابني ، اتجوز من ورانا.
هذا الامر مجدداً ! ، نظرت سلمى الى مريم التى قالت بنفاذ صبر:
-يا بابا ، يا بابا .. حتى انت مصدق ، يا جماعة سلمى مش مراته ، يمكن آه فى المستقبل بس حالياً لأ.
ضم احمد حاجبيه بتعجب ثم نظر الى سلمى –التي كانت تنظر لمريم نظرات ناريه– ثم قال:
-امال .. ايه الحكاية؟
قصت مريم عليه ما حدث لها و كيف مكثت عند يوسف بعد ان وجدها العم محمد بحالة سيئة و هى الان لا تذكر اى شيء عن ماضيها..
ارتسمت ابتسامة ارتياح على وجه احمد فلم يرغب ابداً ان يتجوز ابنه الاكبر دون علمه و يحرمه من ذلك الشعور الابوى ، نظر الى سلمى التى كانت تنظر اليه بترقب ليقول بإرتياح:
-طب الحمد لله ان الموضوع اتفهم غلط ، اسفين يا بنتى وجعنا دماغك.
-لا ابداً يا عمو مفيش مشاكل.
أومأ برأسه ثم تنهد و قال مرحباً:
-على العموم اهلاً و سهلاً بيكى و منورانا طبعاً.
-ميرسى ، دا نور حضرتك.
نظر احمد الى مريم ثم قال متسائلاً:
-امال اخوكى فين يا بنتى نسى ان ليه اب و لا ايه؟
ذمت مريم شفتيها ثم اعتدلت في وقفتها و قالت بتهكم:
-لا والله بس ماما بتستجوبه تحت بس يا بابا.
****
-اللى انت بتقوله دا ميدخلش العلق يا يوسف ، احنا مش عايشين فى فيلم اجنبى عشان تقولى جزيرة و فقدت الذاكرة ، انا مش عبيطة.
قالتها وفاء بحدة فإمتعض وجه يوسف ليقف ثم يسير امامها و هو يقول بضيق:
-ايه اللى بتقوليه دا بس يا ماما ، ازاى تفكرى انى ممكن اعمل كدا ازاى .. حتى لو دا حصل انا حر ..انا معدتش يوسف الصغير اللى بيخاف من الضلمة.
وقفت وفاء خلفه ثم قالت بحنق:
-مهو مش عشان انت كبرت يبقى تغلط يا يوسف.
-لا اله الا الله ، شوفى انا بقول ايه وانتى برده مصممة انى اتجوزت .. يا ستى مفيش حاجة حصلت و إسألى مريم .. كل الحكاية ان دى واحدة و بساعدها.
ذمت وفاء شفتيها ثم قالت فى تهكم صريح:
-لا انت هتقولى.. قلبك الشهم الشجاع رق لما عنيك شافت بت ربنا مديها شوية جمال بتتمسكن ليك ، مقدرتش تشوفها كدا قمت اخدتها عشان تتعافى تحت جناحك..
ثم تابعت بنبرة ذات مغزي و هي ترفع احد حاجبيها الرفيعين:
-و فى بيتك.
ثم هتفت بعنف قائلة:
-مش كدا.

-آه..
قالها يوسف بإيجاز ثم تابع:
-ما انتى عارفه اهو امال بتسألي ليه؟!
-يابنى انت هتجننى ، هو فى حد مبيفتكرش هو مين .. اعقلها يا حضرة الظابط و شوف مين اللى زق البت دى عليك.
ليقول يوسف منهياً الحديث:
-ماما .. سلمى فعلاً مبعوتالى و انا عارف مين اللى باعتها.. و متقلقيش انا واخد بالى كويس.. خلاص؟!
-براحتك يا يوسف ، بس لما تصحى مرة و تلاقى بيتك مسروق او اى حاجة حصلت بسببها .. متبقاش تلوم غير نفسك.
****
دلفت الفتاتان الى غرفة مريم ثم اغلقت مريم الباب و هى تقول:
-يوسف دلوقتى بيتلسوع.
نظرت اليها سلمى و هي تضم حاجبيها ثم قالت بتعجب:
-هى للدرجه دى مامتك صعبه؟!
نظرت اليها مريم ثم زفرت مطولاً فأومأت سلمى برأسها بتفهم ثم قالت ضاحكة:
-خلاص.. فهمت.
ضحكت مريم ثم اتجهت الى دولاب ملابسها و فتحته و هى تقول:
-دا لولا بابا كان زمانى طفشت من زماااان.
جلست سلمى على اريكة صغيرة فى زاوية الغرفه ثم قالت:
-طب وآآآ..و يوسف؟
اخرجت مريم ملابسها من الدولاب ثم نظرت اليها بحزن و قالت:
-يوسف ؟! .. يوسف دا كان صاحبى و اخويا وابويا و..
قاطعتها سلمى قائلة بإستنكار:
-يا ساتر هو مات.
انفجرت مريم ضاحكة ثم القتها بقطعة ملابس و هى تقول:
-فصلتينى حرام عليكى.. لا يا ستى بس هو من ساعة ما عاش لوحده و هو كدا منعزل و يحب الهدوء و بقى ناشف كدا ، بس طبعا هنا و بعيد عن محيط الشغل هتشوفى يوسف تانى خالص.
صمتت سلمي لوهلة ثم قالت بتعجب:
-طب هو عايش لوحده ليه من الاول؟!
اطلقت مريم تنهيدة طويله ثم قالت بعدم اقتناع:
-مبدأه يا ستي انه يبعد عشان يحمى اللى حوليه.
ضمت سلمى حاجبيها بعدم فهم ثم قالت:
-مش فاهمه يحميهم ازاى يعنى؟!
حملت مريم المنشفة ثم اتجهت الى المرحاض و هي تقول:
-بصى انا هاخد دش سريع انتعش و اجى احكيلك كل حاجة.
اومأت سلمى برأسها فدلفت مريم و أغلقت الباب خلفها لتتابع سلمى تأمل الغرفه..
بجانب السرير وضعت الـ "منضده" وفوقها وجدت صورة موضوعة فى إطار خشبي صغير ، اقتربت منها و امسكت بها لتجدها صورة تجمع مريم مع يوسف ، هو يجلس على مقعد علي الشاطيء و هى تقف خلفه و تحيط رقبته و تظهر عليهما السعاده ، ملامح يوسف بدت اصغر مقارنة به الآن ، وضعت الصورة مجدداً مكانها ثم تابعت النظر لتجد ألبوم صور موضوع على الجانب فأخذته و جلست على حافة السرير ثم فتحته..
كانت اول صورة لطفلة رضيعه ، استنتجت انها مريم ، و فى الجانب المقابل كانت صورة لفتاة فى بداية شبابها ، كانت العدسة التى صورتها قديمة نسبياً فكانت الالوان باهته ، ورغم هذا لم يختبيء جمالها ابداً ، كانت ترتدى قميصاً ابيض و تنورة سوداء تصل الى الركبه ، و تغطى ساقها بجوارب سوداء شفافه ، تركت شعرها منسدل على ظهرها و جزء من كتفها و ربطت وشاحاً اسود قصيراً علي مقدمة شعرها مع وجود خصلات بسيطة على جبينها ، شعرها باللون الكستنائي مثلها و اعينها بنية اللون .. كم كانت فاتنة و جميلة..
تسائلت من تلك الفتاة و اين هى الآن و ما علاقتها بعائلة يوسف و مريم ؟
خرجت مريم من المرحاض –بعدما ارتدت ملابسها و مشطت شعرها المبلل– لتجد سلمى شاردة فى صورة ما ، اقتربت منها و جلست بجانبها لتنظر اليها سلمى ثم تبتسم:
-آسفه انا فضوليه شويه.
ابتسمت مريم بلطف ثم قالت:

-عادى يابنتى احنا اخوات.. ورينى وصلتى لصورة مين..
امسكت مريم بالألبوم لتجد صورة تلك الفتاة فتتبدل ملامحها تدريجياً ، نظرت اليها سلمى ثم قالت بتعجب:
-مريم فى حاجة؟؟
لم تجب فكررت سلمى سؤالها و هي تضع كف يدها علي كتفها لتنتبه مريم و تقول:
-ها .. لا مفيش.. جميله اللى فى الصوره مش كدا؟
اومأت سلمى برأسها ثم قالت بهدوء:
-هى مين ؟
صمتت مريم قليلا ثم تنهدت بحزن و قالت:
-اختى الكبيره..
ضمت سلمى حاجبيها بتعجب ثم قالت بدهشه:
-اختك؟! .. أزاى بس عم محمد قالى ان يوسف عنده اخت واحدة بس..
-ايوه ما دى اخت يوسف الكبيرة ، انا اخته الصغيره ، يوسف بس اللى شافها ، هى ماتت و انا لسه صغيرة اوى.
ظهرت علامات الحزن على وجه سلمى لتربت على كف مريم ثم تقول بهدوء:
-ربنا يرحمها ، ان شاء الله فى الجنة.
نظرت اليها مريم ثم رسمت ابتسامة باهتة و تابعت و هي تنظر الي الصوره:
-بابا و ماما لما سارة اختى الكبيرة اتولدت فضلوا مدة كبيرة بعدها ميخلفوش ، كانت هى كل حاجة عندهم ، و كانت مطمع للكل عشان زى ما انتى شايفة جمالها يسرق القلب .. و للأسف جمالها دا كان مشكله ليها قبل اى حد .. لما يوسف اتولد كان يعتبر ابنها قبل ما يكون اخوها ، كان تاخده و يلعبوا بره لغاية اما حد يجى يضايقها بالكلام فتاخده و تدخل .. كانت بتكره جمالها اللى يعتبر الكل بيتمناه بجنـون .. بس بالنسبة ليها كان مقيدها و خانقها.
-طب ماتت ازاى؟
سألتها سلمى بهدوء لتغمض مريم اعينها بألم ثم تتابع:
-كانت بترفض الجواز عشان كانت متأكده انهم طامعنين فى جمالها بس مش اكتر .. لحد ما فى يوم خرجت متأخر مع يوسف يتمشوا بالليل ، ظناً منها ان الناس نايمـه بقى و الدنيا هتبقى هادية شويه عن الصبح .. سمعت صوت شباب كتير وراها فخافت ، صوتهم مكنش صوت ناس فايقة و واعيه.. مسكت ايد يوسف و جرت لحد ما وصلت لحته شبه مقطوعة و كأنها تاهت .. كانوا شافوها و عرفوا ان دى سارة اللى الكل يتمنى بس تبتسمله ، جريوا وراها و هى تجرى لحد ما واحد مسكها من دراعها فزقت هى يوسف و قالتله يهرب .. يوسف خاف كان لسه صغير مش عارف يعمل ايه ، جرى عليهم يقولهم سيبوا اختى.. واحد زقه بعيد فوقع ، فضلت هى تصرخ و تحاول تنقذ نفسها بس كانوا اكتر من واحد و هى مكنتش اكيد بقوتهم .. يوسف بصلهم و هو واقع ، شاف اخته و هى بتصرخ و بتتوسل لحد فيهم يمكن يسيبوها لحد ما اختفت وسطهم .. و هو بعدها جرى يقول لبابا ، بابا خاف و اترعب على بنته و جرى و معاه يوسف لحد ما وصلوا لمكانها ، كانت مرميه علي الارض و مفيش اثر لحد ، جريوا بيها على المستشفى و قلب بابا بيتقطع على منظر بنته اللى بيتباها بيها و يقول بنتى الكبيرة اهى.. الدكتورة قاله بنتك ماتت يا استاذ البقاء لله .. بنتك وصلت المستشفى ميته..
كانت الدموع تهبط من عينيها بغزارة وما ان قالت جملتها الاخيره حتى أجهشت فى البكاء فإحتضنتها سلمى و الدموع تتـلألأ فى اعينها هى الاخرى لتقول مريـم بصوت باكي:
-ماتت و هى بين ايديهم يا سلمى .. قتلوها ، شوفتى انا اللى معشرتهاش و لا شوفتها و زعلانه ، امال يوسف اللى كان معاها و كان يدوب لسه عيل صغير و مقدرش يعمل حاجة.
ربتت سلمى على ظهرها و قالت بنبرة تغالب البكاء:
-اهدى يا مريم ربنا يرحمها اهدى.
ابتعدت مريم عنها و جففت دموعها التى ملأت وجهها ثم نظرت اليها و قالت من بين شهقاتها:
-تعرفى ، انتى شبهها اوى .. نفس الملامح و نفس الشعر ، مش عارفة ماما ملاحظتش ازاى.
ابتسمت لها سلمى ابتسامة عذبه ثم قالت بحنو:
-خلاص يا ستى اعتبرونى سارة .. اهو حتى الاسماء متشابهه.
ابتسمت مريم ثم امسكت بألبوم الصور تتأمل شقيقتها الراحلة و سلمى الى جانبها ، ركزت سلمى هذه المرة فى ملامحهـا لتتفاجأ بصحة قول مريم ، نفس الشعر الكثيف و الطويل باللون الكستنائى ، نفس الانف الدقيق و نفس الشفاه و نفس رسمة الوجه ، نفس رسمـة الاعين فقط الفارق لونهما.. حتى انها بنفس حجم جسدها الرشيق..
تسائلت فى نفسها هل لاحظ يوسف هذا الشبه الغريب ؟ ، هل ما زال متأثراً بذلك الحادث المشئوم؟؟ ، شعرت بالحزن تجاهه فقد كان صغيراً جداً على ما عاصره حينها..
نظرت اليها مريم ثم ابتسمت لشرودها ثم قالت بهدوء:

-انا آسفه اكيد شغلتك و انتي ملكيش ذنب.
نظرت اليها سلمى ثم قالت بعتـاب:
-عيب يا مريم احنا اخوات خلاص.
ابتسمت مريم ثم تنهدت و اعتدلت فى جلستها:
-اكملك قصة حياتى بقى.
اعتدلت سلمى هى الاخرى ثم قالت ممازحه:
-قولى يا شهرزاد.
-بصى يا ستى ، من بعد الموضوع دا و الاحوال اتغيرت ، بابا بقى بيتعب كتير و ماما بقت حريصه زيادة عن اللزوم او قولى بقت قاسية و مش متهاونه مع حد اكتـر .. لما انا جيت يمكن حسوا بتعويض شويه اني بنت و كدا ، و نفس الدور اللى اخدته سارة مع يوسف اخده يوسف معايا مع ان فرق العمر بينا مش كبير ، بقوا بيخافوا عليا قد عنيهم ووكل حاجة تخصنى يعملولها قاعدة و كدا ، بس الموضوع خف شوية بعد فترة..
اصغت سلمى اليها بإهتمام ثم قالت:
-طب و ايه حكاية يوسف و ايه اللى خلاه يعيش لوحده؟
ابتسمت مريـم ثم قالـت بخبـث:
-هو يوسف شاغل بالك ليـه يا سيمو؟؟
رمشت سلمي بأعينها في ارتباك ثم قالت بعد لحظات بجدية:
-عـادي فضـول..
رفعت مريم احد حاجبيها ثم قالت:
-مممممم طيب ، يوسف بطبيعة شغله معرض للخطر فى اى وقت ، هو مقتنع ان وجوده معانا خطر علينا احنا قبله بحيث ان لو المجرمين اللى بيعاقبهم حبوا ينتقموا هيتتبعوا المكان اللى هيروحه و يـعملوا حاجة فى اهل البيت.
-يا سلاام ؟! .. طب و باباكى و مامتك وافقوا؟
-بابا دا زي العسل و حبيبى اصلا مبيعترضش على حاجة مدام فكر فيها و شاف انك نفسك فيها بجد ؛ بس لو كان فيه نتائج يبقى انتى اللى تتحمليها عشان تتعلمى و تعرفى تقررى صح المرة الجايه..انما بقى ماما فكانت رافضه بشده ، بس يوسف دماغه نشفه و عنيد..زيك كدا بالظبط ، صحت الصبح لقيته بيقولها انا ماشى قالتله انت حر.. بس.
ضمت سلمى حاجبيها بتركيز ثم قالت:
-مممم ، طب و ايه حكاية دياب دا ؟
ابتسمت مريم ثم تابعت لتستفزهـا:
-انا تعبت خليها لـبكره.
-يلا يا بت كملى مبحبش التشويق دا.
ضحكت مريم ثم قالت بتعجب:
-تشويق ايه هو فيلم؟
نظرت اليها سلمى برجاء ثم قالت:
-بليز كملى بقى.
تنهدت مريم ثم اكملت:
-دياب يا ستى صاحب اخويا و كان معاه فى الكليه ، كان بيجى يزورنا كل فترة كدا فآآآ..
لتكمل سلمى قائلة:
-شوفتيه و شافك بصيتوا فى عيون بعض توهك بسحره فحبيتيه بس مش قادرة تعترفى لحد .. مش كدا ؟!
نظرت اليها مريم ثم قالت بجديه:
-لأ طبعا دا كلام الافلام بس.
-امال ايه اللى حصل؟؟
لتجيـب مريم ضاحكه:
-شوفته ووشافنى و حبيته على طول مبتوهش انا..
لكزتها سلمى فى كتفها ممازحة وهي تقول:
-يا رخمه ..
ضحكت مريم وكادت ان تتحدث و لكن قاطعهما طرقات على الباب فنهضت مريم و فتحته لتجد الخادمة امامها:
-فى حاجة يا ورد ؟
-لا يا ست هانم بس احمد بيه عايزك انتي والانسه سلمى فى اوضته.
ضمت مريم حاجبيها بتعجب ثم قالت:

-بابا عايزنا ؟؟ ..مقالش ليه؟
-لا يا ست هانم مقالش.
-ماشى يا ورد هنروح اهو..
اغلقت مريم الباب بعد رحيل ورد ثم نظرت الى سلمى و قالت بتعجب:
-بابا عايزنا..
لتقول سلمي ممازحة:
-انا معملتش حاجه .
هبطت الفتاتان الى غرفة احمد ليجدا يوسف بجانبه جالس على المقعد:
-خير يا بابا.
قالتها مريم و هى تنظر الى والدها المبتسم و يوسف ينظر اليها بنظرات غريبة:
-فى ايه يا جماعة و الله ما عملت حاجة ؟!
ضحك احمد ثم اشار لها لتقترب فنهض يوسف لتجلس مكانه و وقف هو بجانب سلمى التى كانت تنظر اليه بإبتسامه صغيرة هادئة ، لقد عانى و رغم هذا يظهر انه قوى..
قبل احمد جبين ابنته الجالسة بجانبه لتنظر اليه ثم تقول بتعجب:
-فى ايه يا بابا صلى على النبى كدا و الموضوع هيتحل ان شاء الله..
زادت ضحكات احمد فقال يوسف ممازحاَ:
-اهدى خلى ابوكى يعرف يتكلم.
-حاضر سكت اهو.
هدأت ضحكات احمد قليلاَ ثم امسك بكف ابنته و قال بنبرة سعيدة:
-جالك عريس يا ستى غير الاولانى.
ارتبكت ملامح مريم و نظرت اليها سلمى لتقول مريم لوالدها:
-ايوه يا بابا بس انت عارف انى يعنى.. مآآآ .. ما تتكلم يا يوسف.
وضع يوسف كفيه فى جيب بنطاله الاسود ثم قال:
-والله انتى اللى هتتجوزى مش انا .. و بعدين ما تعرفى مين اللى متقدملك الاول!
امتعض وجه مريم ثم قالت بإنزعاج:
-هيكون مين يعنى ، رئيس الجمهوريه مثلا ؟؟
ابتسم يوسف ابتسامة جانبيه ثم قال:
-لا الحقيقه هو ظابط .. الظابط دياب طالب ايدك.
سكنت مريم للحظات ثم نظرت اليه بصدمة هائله بينما ابتسمت سلمى بسعادة ، ظلت مريم ترمش بعينيها مراراَ و هى تنقل بصرها بين يوسف و والدها ليقول والدها متسائلاَ:
-ها رأيك ايه ؟ ، بصراحه الواد زوق و محترم.
لم تستوعب مريم ما يقال فقالت بدهشه:
-دياب مين يا يوسف؟؟
رفع يوسف احد حاجبيه قائلا:
-زميلي ، اللى كان عندنا الصبح .. كلم باباكى دلوقتى و هيجى على بالليل يطلب ايدك رسمى.
لم تستوعب ايضا فقالت و كأنها تزيد تأكيدها:
-دياب مين انت بتقول ايه ؟!
شعرت سلمى ان مريم ستفضح امرها فإتجهت اليها واحتضنتها و هي تقول:
-مبروك يا مريوم .. لازم تجهزى بقى بسرعه.
ابتعدت عنها مريم ثم ظرت اليها و همست بصدمه:
-انتى سمعتى اللى انا سمعته؟؟
فأجابت سلمى هامسة:
-ششش ابقى صدقى بعدين.
نظر اليهما احمد ثم قال:
-اطلعى اجهزى يلا يا بنتى و انتى معاها يا سلمى.
-حاضر يا عمو..
قالتها سلمى ثم جذبت مريم من ذراعها و خرجتا من الغرفه لينظر احمد الى يوسف ثم يقول:
-بنت حلال سلمى دى .. ربنا يجعلها من نصيبك.
لم يجب يوسف بل اكتفى برسم ابتسامة صغيرة على وجهه! ..
****
-عاااااااااااااااااااااا عااااااااااا..
صرخت بها مريم بسعادة و هى تقفز فوق فراشها و سلمى تحاول اسكاتها قائلة:

-بس يا بت هتفضحينا اهدى.
توقفت مريم و مالت بجسدها للأمام و هى تنظر اليها بصدمة ثم قالت بسعاده:
-انا بحلم .. لا بجد انا بحلم ، اقرصينى عاااااا..
-يا بت اهدى بلاش فضايح.
لتتابع مريم وهي تقفز بسعاده:
-دياب اتقدملى ، يعنى ايه ؟ .. يعنى بيحبنى ، يعنى ايه برده .. يعنى انا كمان بحبه ، يعنى ايه برده؟؟
قاطعتها سلمى بقولها القلق:
-يعنى هتتجننى و تروحى على المستشفى و لا هتتجوزى و لا حاجة.
فصرخت مريم قائله و هي تعود لقفزها:
-بالظبط كدا..
صعدت سلمى على السرير هي الاخري و وقفت امامها ثم تابعت:
-اهدى يا بنتى انت اتهبلتى.
تلألأت اعين مريم بالدموع و هى تنظر اليها و تقول ضاحكة:
-انا مش مصدقه..
احتضنت مريم سلمى بشده و هى تصرخ:
-سلمى انا بحبه يا سلمى بحبه..
لتقول سلمي ممازحة:
-ادعى عليه مثلا و لا ايه اهدى ، مهو هيجى انهارده.
صمتت مريم قليلَا و ما تزال فاغرة فاها بصدمة ثم قالت فجأة:
-لازم اجهز ، لازم ابقى احلى واحدة انهارده..لازم لازم لازم.
ضحكت سلمى ثم قالت مقلدة اياها:
-حاضر حاضر حاضر! ..
****
حل المساء و ظلت الفتاتين فى الغرفه..
إرتدت مريم فستاناً من اللون الاحمر بإكمام و مغطى بطبقه من الشيفون فى منطقة الصدر و ضيق الى الخصر ثم يتسع بعده ، ثم رفعت شعرها للخلف و تركت بعض الخصلات تزين وجهها.
اما عن سلمى فإرتدت من بين ملابسها فستاناً باللون الابيض ذو اكمام قصيره نسبياً و يصل الى ما بعد الركبة بقليل و يزين من الصدر بفصوص بيضاء لامعه كالألماس و من اسفله حزام من الجلد الاسود الرفيع ، و تركت شعرها ينسدل على ظهرها..
لم تضع اياً منهما زينة بل اكتفت مريم بتزين اعينها ببعض من الكحل الاسود..
سمعت مريم صوت رنين جرس الباب فخفق قلبها سريعاً و امسكت بذراع سلمى:
-سلمى الحقينى.
ربتت سلمى على كتفها ثم قالت:
-اهدى يا مريم مش كدا..
-تفتكرى هو متقدملى عشان أخت صاحبه و لا عشان بيحبنى؟
-لا ان شاء الله بيحبك ، هو حد يشوف القمر دا و ميقعش فى غرامه.
-احم احم على فكره عارفه بس انا اللى متواضعه.
كادت سلمى ان تجيب و لكن قاطعها طرق الباب فإتجهت اليه و فتحته لتجد يوسف امامها مباشرة:
-مريم جاهزه ؟
قالها و هو ينظر اليها متفحصاً اياها حتى توردت وجنتيها خجلاً:
-آاه جهزت ..
ثم افسحت له المجال ليدلف و ينظر الى شقيقته ثم يقول:
-قمر يا ناس.
سارت مريم نحوه ليحتضنها هو بذراعه و يقول بجدية بسيطه:
-انا عايز اعرف قبل اى حد ، انتى موافقه عليه يا مريم؟
لم تجب وزادت حمرة وجهها فإبتسم يوسف ثم قال:
-السكوت علامة الرضا يا مريم ولا ايه؟!
صمتت مريم قليلا ثم قالت:
-يا يوسف بقى! ..
ضحك بخفة ثم امسك بكفها و خرجا بينما سارت سلمى خلفهما..
وقفت سلمى على الدرج تتابع الاجواء من بعيد و على وجهها ابتسامه عذبة ، بينما جلست مريم بجانب شقيقها ، اعتدل والدها فى جلسته ثم قال:

-دياب يا بنتى طالب ايدك ، قولتى ايه؟
لم ترفع بصرها عن الارض بل تمتمت بخفوت:
-اللى تشوفه حضرتك يا بابا.
ليتابع والدها بجدية:
-دياب راجل محترم و يتحمل المسؤلية ..ولا ايه رأيك يا ام يوسف.
كانت وفاء تجلس على المقعد المقابل له و تنظر الى دياب بعدم رضا:
-الرأى رأيك ، ان كان عليا بقول نفكر شوية منستعجلش.
-على خيرة الله .. اقرأوا الفاتحة يا ولاد.
اغتاظت وفاء من تجاهله و صمتت علي مضض بينما نظر اليها دياب بتشفي وابتسامة خفيه ؛ فهو منذ معرفته ليوسف و هو يبغض والدته كثيراً ..
قرأت سلمى معهم الفاتحة و فى داخلها سعادة جمه بتحقيق امنيه مريم و ما كانت تحلم به منذ سنوات..
-"عارفه يا ميادة نفسى فى ايه .. نفسى فى دا ..نفسى فى ضياع"
جملة ترددت بصوتها داخل أذنيها لتضم حاجبيها و تشعر بدوار .. من هى ميادة؟
كادت ان تسقط من شدة الدوار فجلست على الدرج بسرعة و امسكت برأسها ثم اغمضت اعينها..
فى نفس التوقيت كان يوسف يصعد الدرج ليصتدم بمظهرها فيضم حاجبيه بقلق و يقترب منها:
-مالك يا سلمى؟
انتفضت فور سماع صوته ثم نظرت اليه و قالت:
-ها ..لا ابداً مفيش.
حاولت النهوض و بالفعل وقفت و لكن اختل توازنها مجدداً فأمسك بها يوسف:
-طب تعالى استريحى فى الاوضه.
لم تعارضه فهى بالفعل تشعر بالألم و تشعر بطعم مياه البحر المالحة فى حلقها!
اسندها يوسف الى ان وصلا للغرفة فدلفا و اجلسها على حافة السرير ليلحظ ألبوم الصور مفتوحاً و تظهر صورة شقيقته سارة ، أمسك به بتمهل و أخرج صورتها ببطء لتنظر اليه سلمى فيقول و هو يرفع حاجبيه بهدوء:
-تعرفى مين دى يا سلمى؟!
أومأت سلمى برأسها ثم قالت بهدوء:
-مريم حكاتلى عنها انهارده ، ربنا يرحمها.
مط يوسف شفتيه بأسي و هو يتأمل شقيقته الراحله ، تحاملت سلمى و وقفت ثم اقتربت منه لتقف خلفه و تقول بتردد:
-انت ملكش ذنب يا يوسف ، انت كنت مجرد طفل.
-انا فى يومها اللى خليتها تخرج ، كانت خارجة عشانى انا .. خرجت واهم..
أغمض عينيه بألم فلم يستطع النطق بها ، نظرت اليه سلمى بألم لحاله ، ترددت كثيراً قبل ان تفعل و لكنها مدت كفها لتربت على كتفه فنظر اليها ، و لأول مرة ترى طيف دموع بسيطة متحجرة فى عينيه ، هذا ليس الضابط القاسى ! .. هذا قلب تحجر من تألمه لأيام و ليالى:
-حسابهم مع ربنا ، انت مكنتش تعرف حاجه ساعتها.
تفاجأت به يحتضن وجهها بين كفيه بدون مقدمات ثم يقول بنبرة ضعيفة خافته:
-انتي شبها اوي يا سلمى ، كل ملامحك منها..
صمت ليدرس كل تفصيلة فى وجهها ثم تابع:
-بس مينفعش تبقى زيها يا سلمى .. مينفعش.
شعر ان دموعه تهدده بالسقوط و عقله يحثه على الهروب من امامها قبل تنفيذ التهديد ، اما قلبه فيحثه على الافصاح بالمزيد و المزيد..
تعارك الاثنان فإنتصر العقل ليبتعد عنها يوسف و يخرج من الغرفة مسرعاً ليصتدم بمريم و هى تدلف من الباب ثم يتابع الى غرفته دون ان يتوقف للحظه! ..